دلائل النبوة الواردة في سورة الأنعام

د. سارة بنت فراج العقلاء
قسم الدراسات الإسلامية
كلية التربية للبنات ـ الأقسام الأدبية ـ بالرياض

ملخص البحث :

يعد موضوع النبوات والدلائل على صدق الرسل من أهم المواضيع التي يحتاجها الخلق حاجة ماسة قديماً وحديثاً ، فلا غنى للبشرية عنها ؛ وبيانها يعد من الدعوة إلى الله ؛ إذ دلائل النبوة من دلائل الربوبية ، إلا أنه مع مسيس الحاجة إليها وقع الخلاف فيها بين المنتسبين إلى الإسلام ، وكل له دليله ومنهجه الخاص في إثبات مذهبه ، ولما كان هذا العلم إنما يؤخذ مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي ، إذ هو الأصل ، وهذا هو منهج أهل السنة في إثبات مذهبهم ، ولاحتواء سورة الأنعام على مباحث كثيرة متعلقة بموضوع النبوات ، ومؤكدة على ما ذهب إليه السلف ، لذا عزمت الباحثة على الكتابة في هذا الموضوع تحت عنوان (دلائل النبوة الواردة في سورة الأنعام) .

وقد اتبعت الباحثة في معالجة موضوعها المنهج التحليلي ، فجاء البحث في مقدمة وفصلين وخاتمة أما عنوان الفصل الأول فهو الوحي إلى الرسل والفرق بينه وبين وحي الشياطين كما ورد في سورة الأنعام ، وتحته أربعة مباحث وعنوان الفصل الثاني : الآيات التي جاءت بها الرسل وموقف المشركين منها كما ورد في سورة الأنعام وتحته مبحثان .

المقدمة :

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ؛ وبعد :

فإن موضوع النبوات والدلائل على صدق الرسل من أهم المواضيع التي يحتاجها الخلق حاجة ماسة قديماً وحديثاً، فلا غنى للبشرية عنها ؛ وبيانها يعد من الدعوة إلى الله ؛ إذ دلائل النبوة من دلائل الربوبية ؛ إلا أنه مع مسيس الحاجة إليها وقع الخلاف فيها بين المنتسبين إلى الإسلام ، وكل له دليله ومنهجه الخاص في إثبات مذهبه ، ولما كان هذا العلم إنما يؤخذ مما جاء به الرسول ﷺ من الوحي ؛ إذ هو الأصل، وهذا هو منهج أهل السنة في إثبات مذهبهم ؛ ولاحتواء سورة الأنعام على مباحث كثيرة متعلقة بموضوع النبوات، ومؤكدة على ما ذهب إليه السلف ؛لذا عزمت الباحثة على بحث موضوع بعنوان (دلائل النبوة الواردة في سورة الأنعام) وذلك من سلسلة أبحاث ودراسات متعلقة بمباحث النبوة الواردة في هذه السورة .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

- الحاجة العظيمة إلى معرفة دلائل صدق الرسل وشواهد نبوتهم .
- ربط العقيدة بالمصدر الرئيسي للتلقي وهو الوحي .
- احتواء سورة الأنعام على مباحث كثيرة متعلقة بالنبوة ومن ذلك دلائل النبوة .
- كثرة الشبه التي تثار حول النبوة ـ قديماً وحديثاً ـ وأهمية الرد عليها .

الهدف من البحث :

بيان دلائل النبوة الواردة في سورة الأنعام ودراستها وتوضيحها .

منهج البحث :

سيكون المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي إن شاء الله تعالى .

خطوات البحث :

يتكون البحث من مقدمة وفصلين وخاتمة .

فأما المقدمة : ففيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج الباحثة فيه .

وأما الفصل الأول فهو بعنوان : الوحي إلى الرسل والفرق بينه وبين وحي الشياطين كما ورد في سورة الأنعام .

وفيه أربعة مباحث :

- **المبحث الأول** : الوحي في اللغة .
- **المبحث الثاني** : الوحي في الاصطلاح .
- **المبحث الثالث** : الآيات الواردة في الوحي الخاص في سورة الأنعام .
- **المبحث الرابع** : الآيات الواردة في الوحي العام في سورة الأنعام .

وعنوان الفصل الثاني : الآيات التي جاءت بها الرسل وموقف المشركين منها كما ورد في سورة الأنعام .

وفيه تمهيد ومبحثان .

- **المبحث الثاني** : آيات النبي محمد ﷺ وأسماء القرآن الواردة في سورة الأنعام.
- **المبحث الثالث** : موقف الكفار من الآيات التي جاءت بها الرسل .

ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث ويتلوها فهرس المصادر والمراجع .

وإني إذ أتقدم بهذا البحث لأعتذر عما فيه من قصور أو خلل ،وحسبي أني قد بذلت فيه وسعي ، مع شكري الجزيل لكل من أسهم في تصحيحه، فجزاه الله عني خير الجزاء .

* * *

الفصل الأول : الوحي إلى الرسل والفرق بينه وبين وحي الشياطين :

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : الوحي في اللغة :

لما كانت النبوة والرسالة في حقيقتها عبارة عن تلقي الوحي من جهة الله عز وجل؛ فإنه من المستحسن التعرف على معنى الوحي في اللغة والشرع ؛ وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية يتضح أن الوحي يدور في اللغة حول :الإعلام والخفاء والسرعة .

قال الراغب[(١)] : أصل الوحي الإشارة السريعة[(٢)].

وقال ابن فارس[(٣)] : الوحي السريع[(٤)].

وقال الكسائي[(٥)] : وحيت إليه بالكلام أحي به ،وأوحيته إليه، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه من غيره[(٦)].

---

(١) أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني الملقب بالراغب ، كان من أذكياء المتكلمين من تصانيفه : المفردات في غريب القرآن توفي سنة ثلاث وخمسمائة وقيل بل في منتصف القرن الخامس ، ينظر : سير أعلام النبلاء ١٨ ٢٥٥٠.

(٢) المفردات ، الراغب ص٥١٥ وينظر تاج العروس ، الزبيدي مادة وحي ١٠/ ٣٨٥.

(٣) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني المعروف بالرازي المالكي اللغوي صاحب كتاب المجمل ومعجم مقاييس اللغة ، مولده بقزوين ومرباه بهمذان وأكثر الإقامة بالري وكان رأساً في الأدب مات سنة تسعين وثلاثمائة وقيل خمس وتسعين وثلاثمائة .ينظر: وفيات الأعيان ١/١١٨ ، سير أعلام النبلاء ١٧/١٠٣ ، البداية والنهاية ١١/٣٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، مادة وحى ٦/٩٣ .

(٥) أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي ، شيخ القراءة والعربية ، له عدة تصانيف منها :- معاني القرآن وكتاب في القراءات ومختصر في النحو وغيرها ، كان ذا منزلة عند الرشيد وأدب ولده الأمين ، توفي بالري سنة تسع وثمانين ومائة ، ينظر طبقات النحويين ١٣٨ ، سير أعلام النبلاء ٩/١٣١.

(٦) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة وحي ١٠/٣٨٠.

وقال ابن الأنباري [١] في قولهم: أنا مؤمن بوحي الله قال: سمي وحياً لأن الملك أسره على الخلق، وخص به النبي ﷺ المبعوث إليه[٢] .

وقال ابن فارس: الواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك ،فالوحي الإشارة، والوحي الكتاب والرسالة ،وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان[٣].

ويرجح القاضي عياض [٤] اشتقاق الوحي من الإسراع ؛ويعلل ذلك بأن النبي ﷺ كان (يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل،وسميت أنواع الإلهامات وحياً تشبيهاً بالوحي إلى النبي، وسمي الخط وحياً لسرعة حركة يد كاتبه، ووحي الحاجب واللحظ سرعة إشارتهما) وضعف اشتقاقه من الخفاء فقال: (وقيل: أصل الوحي السر والإخفاء ،ومنه سمي الإلهام وحياً)[٥].

وأما ابن حجر[٦] فيرجح اشتقاقه من الخفاء ،فيقول: (الوحي لغة الإعلام في خفاء ،والوحي أيضاً الكتابة، والمكتوب، والبعث، والإلهام، والأمر، والإيماء،

---

(١) أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري المقرئ النحوي، ولد سنة اثنتين وسبعين ومائتين، كان من أحفظ الناس، صدوقاً من أهل السنة، زاهداً متواضعاً وكان أبوه القاسم محدثاً إخبارياً علامة من أئمة الأدب ، مات سنة أربع وثلاثمائة ومات ابنه سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، ينظر: تاريخ بغداد ١٨١/٣ ، سير أعلام النبلاء ٢٧٤/١٥ ، بغية الوعاة ٩١/١ .

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة وحي ٣٨٠/١٥، تاج العروس. الزبيدي مادة وحي ٣٨٥/١٠ .

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة وحى ٩٣/٦ .

(٤) عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي ولد سنة ست وسبعين وأربع مائة ، كان إماماً في علوم كثيرة ، من مصنفاته : الشفا وترتيب المدارك في الفقه وكتاب العقيدة وغيرها ، توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، ينظر وفيات الاعيان ٣ /٤٨٣ ، سير أعلام النبلاء ٢٠ /٢١٢ ، البداية والنهاية ١٢ /٢٤١ .

(٥) الشفا ، جـ٢ ، ص٤٨٩.

(٦) أحمد بن علي بن محمد أبو الفضل العسقلاني المعروف بابن حجر ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر ، نشأ يتيماً ، طلب العلم وحفظ القرآن صغيراً ، برع في علوم شتى ثم تفرغ لعلم الحديث ومن أهم

والإشارة ،والتصويت شيئاً بعد شيء ، وقيل أصله التفهيم ؛ وكل ما دللت به من كلام أو كتابة أو رسالة أو إشارة فهو وحي)[1].

ولا منافاة بين المعنيين ؛وعلى هذا يكون الوحي في اللغة: الإعلام في خفاء وسرعة.

قال ابن تيمية: (الوحي هو إعلام سريع خفي)[2] ، فكل علم ألقي في خفاء وسرعة يطلق عليه في اللغة أنه وحي ، وهذا هو الوحي العام ؛ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [النحل:٦٨]، فالوحي هنا الإلهام والهداية والإرشاد[3] ، و كذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾ [فصلت:]١٢.

ومنه قوله تعالى عن يوسف عليه السلام وهو صغير ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٥] على خلاف في الوحي المراد بهذه الآية . وقال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ [القصص:٧] أي ألهمت في سرها وألقي في خلدها ونفث في روعها ، ودخول الإلهام في الوحي لأنه إعلام في خفاء فلذلك سمي وحياً [4].

مصنفاته : التهذيب ولسان الميزان وأعظمها فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ولي القضاء عدة مرات ، توفي عام اثنتين وخمسين وثمانمائة ، ينظر الضوء اللامع السخاوي ، ٢ /٣٦ ، البدر الطالع ، الشوكاني ١ /٨٧

(١) فتح الباري ، ابن حجر ١/ ٩.

(٢) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ١٣/ ٣٤٢.

(٣) تفسير ابن كثير ، ٢/ ٥٩٦.

(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٢ ، وينظر : الشفاء للقاضي عياض ٤/ ٤٨٩ ، لسان العرب ، ابن منظور ، مادة وحي ١٥/ ٣٨١ ، تاج العروس ، مادة وحي ١٠/ ٣٨٥ .

وقوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم : ١١] أي أشار إشارة خفية سريعة أو أومأ رمزاً، وقال مجاهد[1] في رواية عنه: أي كتب لهم على الأرض وكذا قال السدي[2].[3]

المبحث الثاني : الوحي في الاصطلاح:

وأما الوحي شرعاً فهو: الإعلام بشرع الله ،وله صفات ومراتب متعددة، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [النساء :١٦٣] فصفة الوحي إلى نبينا ﷺ توافق صفة الوحي إلى من تقدمه من الأنبياء .

قال ابن حجر:وأول أحوال الأنبياء في الوحي هي : الرؤيا كما روى أبو نعيم[4]

---

(١) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الأسود مولى السائب ، شيخ القراء والمفسرين ، وأحد أئمة التابعين ، كان من أخصاء أصحاب ابن عباس عرض القرآن عليه أكثر من مدة يقفه عند كل آية ويسأله عنها ، مات وهو ساجد سنة مائة وقيل إحدى وقيل اثنين وقيل ثلاثة ومائة ، ينظر : طبقات ابن سعد ٥/٤٦٦ ، سير أعلام النبلاء ٤ /٤٤٩ ، البداية والنهاية ٩ /٢٣٢

(٢) إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد ، من موالي قريش وهو غير السدي الصغير أحد المتروكين بل كان مقبول الحديث ، مات سنة سبع وعشرين ومائة ، ينظر طبقات ابن سعد ٦ /٣٢٣ ، سير اعلام النبلاء ٥/٢٦٤

(٣) ينظر : الشفا للقاضي عياض ٢/٤٨٩ ، النبوات لابن تيمية ١٦٧ ، تفسير ابن كثير ٣/١١٩.

(٤) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق أبو نعيم المهراني الأصبهاني ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، كان أبوه من علماء المحدثين والرحالين ويميل في الاعتقاد إلى مذهب الأشعري، له كتاب حلية الأولياء ودلائل النبوة وغيرها ، توفي سنة ثلاثين وأربعمائة ، ينظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٤٥٣ ، البداية والنهاية ١٢/٤٨.

عن علقمة بن قيس[1] قال: كان أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم ،ثم ينزل الوحي بعد في اليقظة[2].

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها : (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة[3] في النوم، فكان لا يرى رؤياً إلا جاءت مثل فلق الصبح)[4].

والحكمة في ذلك: أن يكون تمهيداً وتوطئة لليقظة لئلا يفجأه الملك ،ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها قوى البشرية ، فبُدئ بأول خصال النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا ، ثم مُهد له في اليقظة أيضاً: رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر، وذلك قبل أن يوحى إليه في مدة اختلف فيها وأقصى ما ورد فيها أنها سبع سنين[5].

وذلك في أثر رواه الإمام أحمد في مسنده يفيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث سبع سنوات في مكة ير ى الضوء ويسمع الصوت ، فروى عن ابن

---

(١) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي من أكابر أصحاب ابن مسعود خال إبراهيم النخعي ولد في أيام النبي ﷺ ولزم ابن مسعود شهد صفين مع علي مات في خلافة يزيد سنة إحدى وستين وقيل اثنين وقيل خمس وستين. ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٥٣/١٧ ، البداية والنهاية ٤٨/١٢.

(٢) لم أجده في دلائل النبوة المطبوع وقد ذكره ابن كثير في السيرة النبوية ٣٨٧/١ وقال ابن حجر في الفتح : إسناده حسن ٩/١.

(٣) وفي لفظ مسلم: الصادقة وهما بمعنى واحد كما ذكر ذلك النووي ١٩٧/٢ وهي التي ليس فيها ضغث كما ذكر ذلك ابن حجر الفتح ٢٣/١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب٣ ح٣ الفتح ٢٢/١ ، صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى الرسول ﷺ، شرح النووي ١٩٧/٢.

(٥) ينظر: شرح النووي ١٩٨/٢ ، فتح الباري، ابن حجر ٢٣/١ ، دلائل النبوة، البيهقي ١٤٦/٢.

عباس رضي الله عنهما قوله: أقام النبي ﷺ بمكة خمس عشرة سنة :سبع سنين يرى الضوء ويسمع، وثمان سنين يوحى إليه[1].

قال ابن حجر: (وحكى البيهقي [2] أن مدة الرؤيا كانت ستة أشهر)[3] ، ثم عقب بقوله : (وعلى هذا فابتداء النبوة بالرؤيا وقع من شهر مولده ﷺ ،وهو ربيع الأول بعد إكماله أربعين سنة، وابتداء وحي اليقظة وقع في رمضان)[4] إلا أن قول ابن حجر بأن ابتداء وحي اليقظة كما ذكر معارض بما ورد عن عامر الشعبي[5]: أن رسول الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل ،فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشراً بمكة، وعشراً بالمدينة، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة[6].

قال ابن كثير[7]: وهذا إسناد صحيح إلى الشعبي ،وهو يقتضي أن إسرافيل

---

(١) الفتح الرباني، البنا ٢٠/٢٠٩.

(٢) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي الخراساني، ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة في شعبان، له: السنن الكبير والأسماء والصفات ودلائل النبوة وشعب الإيمان وغيرها، كان فقيهاً محدثاً أصولياً زاهداً كثير العبادة توفي بنيسابور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨/١٦٣، البداية النهاية ١٢/١٠٠.

(٣) ذكره ابن حجر في الفتح ١/٢٧ ولم أجده في دلائل النبوة المطبوع.

(٤) فتح الباري ١/٢٧.

(٥)عامر بن شراحيل الشعبي الهمداني، كان علامة أهل الكوفة وإمامهم وحافظهم ولد سنة ثمان وعشرين وقيل سنة إحدى وعشرين وقد رأى علياً وصلى خلفه، كان ممن خرج مع ابن الأشعث، ومات سنة أربع ومائة، ينظر: طبقات ابن سعد ٦/٢٤٦، سير أعلام النبلاء ٤/٢٩٤، البداية والنهاية٩/٢٤٠.

(٦) تاريخ الطبري ٢/١٨٦- دلائل النبوة- البيهقي ٢/١٣٢

(٧) عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير ولد بقرية من أعمال بصرى سنة إحدى وسبعمائة ثم انتقل إلى دمشق، برع في الفقه والتفسير والنحو، ومن جملة مشايخه، شيخ الإسلام ابن تيمية توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة، ينظر: الدرر الكامنة ١/٣٩٩، البدر الطالع ١/١٥٣.

قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين، ثم جاءه جبريل[١].

ونقل ابن كثير قول أبي شامة[٢] :(وحديث عائشة لا ينافي هذا ، فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا، ثم وكل به إسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة، ولا يقيم معه تدريباً له وتمريناً إلى أن جاءه جبريل فعلّمه بعدما غطه ثلاث مرات ، فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل، ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصاراً للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل)[٣].

ويشهد لهذا ما رواه ابن جرير[٤] عن ابن عباس وسعيد بن المسيب[٥]: أنه كان عمره ﷺ إذ نزل عليه الوحي ثلاثاً وأربعين سنة[٦].

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ٣٨٥/١.

(٢) شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ صاحب المصنفات العديدة في مختلف الفنون منها اختصار تاريخ دمشق وله شرح الشاطبية وغير ذلك ولد سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، توفي بسبب محنة واتهم برأي هو بريء منه وقتل مظلوماً سنة خمس وستين وستمائة ، ينظر : البداية والنهاية ، ابن كثير ٢٦٤/١٣.

(٣) السيرة النبوية، ابن كثير ٣٨٥/١ وقال ابن العربي : أقام النبي ﷺ خمسة أعوام ما بين رؤيا وتمثيل وفترة ثم حمي الوحي، عارضه الأحوذي ١٠٩/١٣ .

(٤) محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري ولد سنة أربع وعشرين ومائتين ، كان من كبار أئمة الاجتهاد له كتاب في التاريخ اسمه (أخبار الأمم وتواريخهم وكذلك له تهذيب الآثار توفي سنة عشر وثلاثمائة ينظر في ترجمته : تاريخ بغداد ١٦٢/٢- ١٦٩ ، طبقات الشافعية – السبكي ١٢٠/٣- ١٢٨ ، البداية والنهاية ١٥٦/١١.

(٥) سعيد بن المسيب القرشي المخزومي عالم أهل المدينة، ولد في خلافة عمر، كان من أورع الناس وأزهدهم، زوّج ابنته على درهمين لكثير بن وداعة وكان فقيراً وكان خطبها الوليد بن عبد الملك، توفي سنة أربع وتسعين ويقال لها سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم ، طبقات ابن سعد ١١٩/٥ ، سير أعلام النبلاء ٢١٧/٤ ، البداية والنهاية ١٠٥/٩.

(٦) تاريخ الطبري ٢٩٢/٢ ، ينظر السيرة النبوية لابن كثير ٣٨٥/١ والمصنف لابن أبي شيبه ٢٩٠/١٤.

فكانت الرؤيا الصالحة أول مراتب الوحي في حق نبينا ﷺ ، ثم كما تذكر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (ثم حبب إليه الخلاء ،وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد- الليالي ذوات العدد ،حتى جاءه الحق وهو في غار حراء)[1] والخلاء هو الخلوة والسر فيه :أن الخلوة فراغ القلب لما يتوجه له، وكان رسول الله ﷺ يحب الخلاء والانفراد عن قومه لما يراهم عليه من الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة إيحاء الله له ﷺ، وكان مدة خلوته ﷺ شهراً وهو: شهر رمضان [2].وقولها :(حتى جاءه الحق وهو في غار حراء) يراد بالحق الملك ،وسمي حقا لأنه وحي من الله تعالى ، وفي رواية مسلم : (حتى فجئه الحق)[3] أي جاءه الحق بغتة فإنه لم يكن متوقعا للوحي[4].قالت عائشة رضي الله عنها: (فجاءه الملك فقال: اقرأ قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ،ثمَّ أرسلني ،فقال: اقرأ قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ،ثم أرسلني فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ [العلق : ١- ٣] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ،فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي باب٣ ح٣ الفتح ٢٢/١اللفظ له، صحيح مسلم/ كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، شرحه النووي ١٩٨/٢.

(٢) ينظر: السيرة النبوية، ابن كثير ٣٨٥/١- فتح الباري، ابن حجر ٢٣/١، شرح مسلم النووي ١٩٨/٢.

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي ، شرح النووي ، ١٩٨/٢ .

(٤) شرح مسلم ، النووي ،١٩٩/٢.

فقال :زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروعُ)[1] ، وقولها (فغطني) معناه: عصرني وضمني وخنقني ،والجهد هو: الغاية والمشقة ،والحكمة فيه: شغله من الالتفات، والمبالغة في أمره بإحضار قلبه لما يقوله له ، وكرره ثلاثاً مبالغة في التنبيه وفي السيرة النبوية (فغتني حتى ظننت أنه الموت)[2] ، ودل قوله (يرجف فؤاده) على انفعال حصل له من مجيء الملك [3].ومجيء الملك هو: إرسال الرسول الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى : ٥١].

فشملت هذه الآية جميع درجات الوحي والتكليم وهي: الوحي المجرد والتكليم من وراء حجاب، والتكليم بواسطة إرسال الرسل، والوحي المراد هنا هو : الإلهام، أو النفث في الروع ،والإلقاء في قلب النبي دون واسطة، فيتكلم به النبي ويبينه وهو كلام الله عز وجل ووحيه [4].

ويجعل ابن تيمية الرؤيا داخلة في هذه الآية فيقول : (فالأول: الوحي: وهو الإعلام السريع الخفي إما في اليقظة وإما في المنام)[5].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي باب٣ح٣ الفتح ٢٢/١ ، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، شرح النووي ١٩٧/٢- ٢٠٤.

(٢) السيرة النبوية ، ابن هشام ، ١٢٢/١

(٣) شرح مسلم النووي ١٩٩/٢ ، فتح الباري ابن حجر ٢٤/١.

(٤) الشريعة ، الآجري ١٥٢ ،الشفاء للقاضي عياض ٤٨٩/٢ ، زاد المعاد لابن القيم ٧٨/١ ، تفسير ابن كثير ١٣١/٤.

(٥) الفتاوى ، ابن تيمية ، ٣٩٧/١٢ .

والمرتبة الثانية المذكورة هنا هي: كلام الله بلا واسطة ولكن من وراء حجاب، كما كلم الله موسى ـ عليه السلام ـ،وهي ثابتة له بنص القرآن الكريم ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء : ١٦٤]. وهي كما ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ ثابتة لنبينا محمد ﷺ من حديث الإسراء[1].

وأما المرتبة الثالثة المذكورة في الآية فهي: إرسال الرسول المَلَكي وهو أنواع ؛ فتارة يكون متمثلاً بصورة رجل، وتارة يكون في الباطن بصوت مثل صلصلة الجرس ؛كما روى البخاري بسنده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (أن الحارث بن هشام[2] سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ ،فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً)[3].

والصلصلة في الأصل: صوت وقع الحديد بعضه على بعض ،ثم أطلق على كل صوت له طنين ، وفي قوله: (وهو أشده علي) بيان أن الوحي كله شديد، ولكن هذه الصفة أشد من غيرها .

كذلك قولها رضي الله عنها :(وإن جبينه ليتفصد عرقاً) دليل على كثرة معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي ، إذ الفصد في اللغة : قطع العرق لإسالة

---

(١) زاد المعاد ١/٧٨.

(٢) الحارث بن هشام أخو أبي جهل، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وشهد حنيناً وكان سيداً شريفاً في الإسلام كما كان في الجاهلية وهو الذي أجارته أم هاني، مات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة، ينظر طبقات ابن سعد ٥/١٤٤ ، أسد الغابة ١/٤٢٠، الإصابة ١/٢٩٣، سير أعلام النبلاء ٤/٤١٩، البداية والنهاية ٧/٢١١ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي باب٢ ، ح٢ فتح الباري ١/١٨

الدم ، وشبه جبينه بالعرق المفصود مبالغة في كثرة العرق ؛وفي ذلك مخالفة للعادة البشرية في كثرة العرق في شدة البرد مما يشعر بوجود أمر طارئ زائد على الطباع البشرية ،فلذلك ظهر التغير في بدنهﷺ .

وأما الاقتصار على هاتين الحالتين من الوحي في هذا الحديث :فلكونهما هما الغالب وغيرهما نادر[1].

وذكر ابن القيم من مراتب الوحي: رؤية الملك في صورته التي خلق عليها فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه[2]، وقال ابن حجر: إنه لم يره كذلك إلا مرتين ولم يأته في تلك الحالة بوحي أو آتاه فكان على مثل صلصلة الجرس[3]. وأما ما روي عن عمر بن الخطاب أنه كان يسمع عنده كدوي النحل[4] فهذا بالنسبة للحاضرين يسمعون كدوي النحل ،وأما رسول الله ﷺ فكان كصلصلة الجرس[5].

وقد سمى الله – في آية الشورى – كلا النوعين : إلقاء الملك وخطابه وحياً ، لما في ذلك من الخفاء فإنه إذا رآه يحتاج أن يعلم أنه ملك ،وإذا جاءه في مثل صلصلة الجرس يحتاج إلى فهم ما في الصوت[6].

المبحث الثالث : الآيات الواردة في الوحي الخاص في سورة الأنعام:

ورد الوحي بمعناه الخاص - أي وحي الرسالة - في سورة الأنعام في آيات هي:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [الأنعام : ٥٠].

---

(١) فتح الباري ، ابن حجر ١/٢٠- ٢١ ، وينظر الجواب الصحيح، ابن تيمية ٣/٢٧١ .

(٢) زاد المعاد، ابن القيم ١/٧٨ .

(٣) فتح الباري ، ابن حجر ١/٢٠- ٢١.

(٤) مسند الإمام أحمد ١/٣٤.

(٥) فتح الباري ١/٢٠-٢١.

(٦) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١٢/٤٠١

وفيها أمر النبي ﷺ بأن يقول لقومه : ما أتبع فيما أقول لكم وأدعوكم إليه إلا وحي الله الذي يوحيه إلي فهذا غايتي ومنتهى أمري، وقد شرفني الله بذلك، ولست أخرج عنه قيد شبر فلست إلا بشراً رسولاً ، والرسالة هي: عبارة عن تلقي الوحي من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه ، ثم إنه ليس لي مدخل ما في الوحي، أو في الموحى بطريق الاستدعاء، أو بوجه من الوجوه أصلاً[1].

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ [الأنعام : ٩٣.] ذكر الله تعالى فيها أنه لا أحد أظلم ممن كذب على الله فجعل له شركاء ، أو ولداً ، أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يرسله، ولم يوح إليه شيء ، وقد صان الله أنبياءه عما يزعم الكفار، وإنما هذا شأن الكذابين رؤوس الإضلال كمسيلمة الكذاب[2] والأسود العنسي[3] وسجاح[4].[5]

(١) ينظر: تفسير الطبري ١١/٣٧١، تفسير ابن كثير ٢/١٣٨ ، تفسير أبي السعود ٣/١٣٧ ، فتح القدير الشوكاني ٢/١١٨ ، تيسير الكريم الرحمن السعدي ٢/٤٠٢.

(٢) مسيلمة بن ثمامة بن حبيب الحنفي الوائلي ولد باليمامة وكان يتلقب برحمن اليمامة كان ممن وفد مع قومه على النبي ﷺ في العام التاسع الهجري وارتد بعد عودة الوفد وجعل يسجع لهم السجعات، أرسل الصديق جيشاً بقيادة خالد بن الوليد وقتل مسيلمة على يد وحشي قاتل حمزة سنة اثنتي عشرة ، ينظر : البداية والنهاية ٦/٣٤٥، الكامل ٢/٢٦١.

(٣) اسمه عبهلة بن كعب بن غوث ويلقب ذا الخمار لأنه كان معتماً مختمراً أبداً، ادعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ وكان يريهم الأعاجيب وخرج بمن معه على عامل الرسول ﷺ وقتله فيروز الديلمي بمعونة زوجته التي تزوجها سراً بعد أن قتل زوجها وكان فترة ملكه ثلاثة أشهر وقيل أربعة ، وقد أتى الخبر النبي ﷺ ليلة قتله وقال: (قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين) ، ينظر: البداية والنهاية ٦/٣٤٦، ٣١٧ ، الكامل ٢/٣٣٦.

(٤) سجاح بنت الحارث أسلمت وحسن إسلامها وأنها انتقلت إلى البصرة وماتت بها وقيل غير ذلك ، ينظر: البداية والنهاية ٦/٣٤٠ ، تاريخ الطبري ٣/٢٧٣ ، تاريخ ابن خلدون ٢/٨٧٤ ، الكامل ٢/٣٥٧.

(٥) ينظر : تفسير الطبري ١١/٥٣٥ ، تفسير ابن كثير ٢/١٦٢ ، تفسير أبي السعود ٣/١٦٣ ، فتح القدير ، الشوكاني ٢/١٤٠ .

قال عكرمة [1] وقتادة [2]: نزلت في مسيلمة الكذاب [3].

وقال الطبري: دخل في هذه الآية كل من كان مختلقاً على الله كذباً، وقائلاً في ذلك الزمان وفي غيره (أوحى الله إلي) وهو في قيله كاذب لم يوح الله إليه شيئاً [4].

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ في الآية الثالثة باتباع الوحي والإعراض عن المشركين فقال: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ١٠٦] ذلك أنه بعد أن حكى عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات، عقب ذلك بأمره ﷺ بالثبات على ما هو عليه ،وبعدم الاعتداد بهم وبأباطيلهم ؛ والله مالكُ الأمر ومدبر الشؤون، فهو وحده الإله المستحق للطاعة والخضوع ؛ فالتزم طاعته ولا تبال بعناد المشركين ولا تحفل بهم وبأقاويلهم ودع عنك جدالهم وخصومتهم [5]، وجملة (لا إله إلا هو) معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لقصد تأكيد إيجاب الاتباع [6].

---

(١) أبو عبد الله عكرمة الحافظ المفسر القرشي مولاهم المدني البربري الأصل مولى ابن عباس ، كان من أعلم الناس بالتفسير والسيرة وطاف البلاد أفتي بحياة ابن عباس ، أتهم برأي الخوارج ، مات في المدينة سنة أربع ومائة هو وكثير عزه في يوم واحد ، ينظر طبقات ابن سعد ٢٨٧/٥ ، سير أعلام النبلاء ١٢/٥ ، البداية والنهاية ٢٥٤/٩

(٢) قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري الضرير ولد سنة ستين وكان من أوعية العلم ويضرب به المثل في قوة الحفظ وكان ممن يرى القدر ، توفي بالطاعون سنة ثماني عشرة ومائة ، ينظر: طبقات ابن سعد ٧ /٢٢٩ ، سير أعلام النبلاء ، ٥ /٢٦٩ ، البداية والنهاية ٣٢٥/٩ .

(٣) تفسير الطبري ٥٣٥/١١.

(٤) نفس المصدر والصفحة .

(٥) ينظر: تفسير الطبري ٣٢/١٢، تفسير البيضاوي ١١١/٤ ، تفسير ابن كثير ١٦٩/٢ ، تفسير أبي السعود ١٧١/٣ ، فتح القدير، الشوكاني ١٥٠/٢.

(٦) فتح القدير ١٥٠/٢.

وفي الآية الرابعة يقول الله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١٤٥].

ذلك أنه تعالى بعد أن ذم المشركين على ما حرموه من الحلال ونسبوه إلى الله وأبطل قولهم ، أمر تعالى رسوله ﷺ أن يبين للناس ما حرمه الله عليهم ليعلموا أن ما عدا ذلك حلال ، من نسب تحريمه إلى الله فهو كاذب مبطل ؛ لأن التحريم لا يكون إلا من عند الله على لسان رسوله ﷺ ، وفي الآية إيذان بأن التحريم والتحليل إنما يعلم بالوحي سواء كان بالقرآن أو فيما أوحى الله إلى رسوله مطلقاً وتنبيه على أن التحريم إنما يعلم بالوحي لا بالهوى، وما حرمه الله هو : الميتة التي ماتت من غير تذكية ،والدم المسفوح المنصب ،ولحم الخنزير فإنه نجس، وما ذبحه ذابح من المشركين لصنمه وآلهته فذكر عليه اسم وثنه ؛فإن ذلك الذبح فسق نهى الله عنه وحرمه[1].

فدلت هذه الآيات الأربعة بمجموعها على بيان حال النبي ﷺ وأنه إنما يتبع ما أوحى الله إليه وفي هذا بيان لمكانة الوحي، كذلك بينت الآيات ظلم من ادعى الوحي.

المبحث الرابع : الآيات الواردة في الوحي العام في سورة الأنعام :

ذكر الوحي بمعناه العام في آيتين في هذه السورة ، الأولى منهما قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٢] ، ويراد

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٢/ ١٩٠ ، تفسير البيضاوي ٤/ ١٣٢ ، تفسير أبي السعود ٣/ ١٩٤ ، تفسير الكريم الرحمن السعدي ٢/ ٤٩٠.

بالوحي هنا الوسوسة ،وعُبر عنها بالوحي لأنها تلقى في خفاء كما ذكر ذلك الشوكاني [1]حيث قال: (وسمي وحياً لأنه إنما يكون خفية بينهم)[2] وأما أبو السعود[3]فيرى أن الوحي هنا (عبارة عن الإيماء والقول السريع أي يلقي ويوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس)[4].

وفي هذه الآية تسلية للرسول ﷺ عما كان يشاهده من عداوة قريش ، إذ لم تكن تلك العداوة مختصة به ﷺ ؛بل هي أمر قد ابتلي به كل من سبقه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي هذا حث له على الصبر على ما ناله في الله ، فكما ابتليﷺ بأن جعل له من مشركي قومه أعداء شياطين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول ليصدوهم بمجادلتهم عن اتباعه ﷺوالإيمان به، وبما جاء به من عند ربه، كذلك ابتلي من قبله من الأنبياء والرسل بأن جعل لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات.

والمراد بشياطين الإنس والجن مردتهم ،وقد اختلف المفسرون في الإنس :هل فيهم شياطين أم لا؟ فعن عكرمة قال : ليس في الإنس شياطين، ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس ،وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن، وكذلك قال السدي[5].

---

(١) محمد بن علي الشوكاني الصنعاني، مفسر، محدث، فقيه أصولي، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف ، من أهم مصنفاته نيل الأوطار، كتابه في التفسير، توفي سنة خمسين ومائتين بعد الألف بصنعاء ، البدر الطالع ٢/٢١٤.

(٢) فتح القدير- الشوكاني ٢/١٥٣.

(٣) أبو السعود أفندي ، محمد بن مصطفى الحنفي ، ولد سنة تسعمائة كان قاضياً ثم مفتياً بالقسطنطينية ، أهدى تفسيره إلى السلطان سليمان خان وهو من علماء الترك المستعربين توفي سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة ينظر : البدر الطالع ١ /٢٦١ ، الأعلام ٧ /٢٨٨ .

(٤) تفسير أبي السعود ٣/١٧٥.

(٥) تفسير الطبري ١٢/٥٠ وينظر: معاني القرآن – الفراء ١/٣٥١، تفسير القرطبي ٧/٦٧، التفسير الكبير، الرازي ١٣/١٥٤، الفتوحات الإلهية جـ٢ص٧٩.

والتفسير المذكور عن عكرمة يخالف ما جاء عنه في روايات أخرى ، بل يخالف ظاهر القرآن والسنة من وجود الشياطين في الجن والإنس ؛قال تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة ، ١٤].

وقال الطبري مضعفاً هذا القول : (وليس لهذا التأويل وجه مفهوم ، لأن الله جعل إبليس وولده أعداء ابن آدم ،فكل ولده لكل ولده عدو،فلو كان معنياً بذلك الشياطين الذين ذكرهم السدي الذين هم ولد إبليس ، لم يكن لخصوص الأنبياء بالخبر عنهم أنه جعل لهم الشياطين أعداء وجه)[١].

وأما القول الثاني :وهو أن المراد شياطين من الإنس وشياطين من الجن والشيطان :كل عات متمرد من الجن والإنس ،وهذا قول ابن عباس ، وقال أصحاب هذا القول: إن من الجن شياطين ،ومن الإنس شياطين ،وإن الشيطان من الجن إذا أعياه المؤمن ذهب إلى متمرد من الإنس وهو شيطان الإنس ،فأغراه بالمؤمن ليفتنه[٢].

وقال بعضهم : بل يوسوس شيطان الجن إلى شيطان الإنس، وكذلك بعض الجن إلى بعض، وبعض الإنس إلى بعض، وعن مالك بن دينار[٣] : إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن ؛ لأني إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني ، وشيطان الإنس يجيئني ، فيجرني إلى المعاصي عياناً[٤].

---

(١) تفسير الطبري ١١/٥٠.

(٢) التفسير الكبير، الرازي، ١٣/١٥٤.

(٣) أبو يحيى مالك بن دينار ، ولد في أيام ابن عباس وسمع من أنس بن مالك فمن بعده وثقه النسائي وغيره ، كان أبوه دينار من سبي سجستان ، كان من الزهاد ومن أعيان كتبة المصاحف ، توفي سنة سبع وعشرين ومائة وقيل ثلاثين ومائة ، ينظر: طبقات ابن سعد ٧/٢٤٣ ، سير أعلام النبلاء ٥/٣٦٢.

(٤) الكشاف، الزمخشري ٢/٤٥ ، وينظر تفسير البيضاوي ٤/١١٥.

قال مجاهد في تفسير هذه الآية : كفار الجن :شياطين يوحون إلى شياطين الإنس: كفار الإنس زخرف القول غروراً [1].

وروى ابن أبي حاتم[2] وغيره في تفسيره لهذه الآية أن عكرمة قال: (قدمت على المختار[3] فأكرمني وأنزلني، حتى كاد يتعاهد مبيتي بالليل ،قال: فقال لي: أخرج إلى الناس فحدثهم، قال فخرجت فجاء رجل فقال: ما تقول في الوحي؟ فقلت الوحي وحيان: قال الله تعالى ﴿ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ [يوسف: ٣].

وقال تعالى ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا ﴾ [الأنعام: ١١٢] قال: فهموا بي أن يأخذوني فقلت لهم : ما لكم وذاك إني مفتيكم وضيفكم فتركوني)[4].

قال ابن كثير : وإنما عرض عكرمة بالمختار وهو ابن أبي عبيد يزعم أنه يأتيه الوحي[5] .

---

(١) تفسير ابن كثير ١٧١/٢.

(٢) أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر ، ابن أبي حاتم الرازي ووالده الحافظ المشهور من نظراء البخاري، ولد سنة أربعين ومائتين أو إحدى وأربعين من أئمة الحفاظ وله مصنفات تدل على عمق علمه وهو من الزهاد الأبدال، توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وله بضع وثمانون سنة. ينظر سير أعلام النبلاء ٢٦٣/١٣، طبقات الحفاظ، ٣٤٥.

(٣) المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، أسلم أبوه في حياة النبيﷺ ولم يره، وأخته صفية بنت أبي عبيد زوج عبد الله بن عمر بن الخطاب، كان ناصبياً حتى قتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب، تتبع قتلة الحسين ثم قتله مصعب بن الزبير سنة سبع وستين، سير أعلام النبلاء ٥٣٨/٣، البداية والنهاية ٢٩٢/٤.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ١٣٧١/٤.

(٥) تفسير ابن كثير ١٧١/٢.

ثم إن معارضة هؤلاء الشياطين للوحي من أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين، وبيان حقيقة أنباء المرسلين ؛ذلك أن الحق إذا جُحد وعورض بالشبهات أقام الله تعالى له مما يحق به الحق ،ويبطل به الباطل من الآيات والبينات بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة ،وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة [1].

وأما الآية الأخيرة في هذا المبحث قوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١ ، ١٢٢].

فقد ذكر أن سبب نزولها : أن المشركين حين سمعوا تحريم الله ورسوله الميتة وتحليله للمذكاة ، وكانوا يستحلون أكل الميتة،قالوا معاندة لله ورسوله ومجادلة بغير حجة ولا برهان: أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله؟ فذكر الله تعالى أن الشياطين: أي المردة من الجن والإنس يوسوسون إلى أوليائهم المقاربين لهم في الطباع،المهيئين لقبول كلامهم [2]، وقيل المراد بالشياطين هنا: شياطين فارس ومن على دينهم من المجوس [3].

وقيل : بل هم قوم من اليهود جادلوا الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الجواب الصحيح ، ابن تيمية ١/١٤.

(٢) ينظر : الطبري ٨٥/١٢، القرطبي ٧٧/٧، الكشاف، الزمخشري ٤٧/٢ ،ابن كثير ١٧٧/٢ ، الجلالين ص١١٧ ، نظم الدرر- البقاعي ٧٠٤/٢، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٤٦٧/٢.

(٣) تفسير الطبري ٧٧/١٢ ، وينظر: تفسير أبي حاتم ١٣٧٩/٤ ، تفسير أبي السعود ١٨٠/٣

قال الطبري: (وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الإنس يوحون إلى أوليائهم منهم ،وجائز أن يكون شياطين الجن أوحوا إلى أوليائهم من الإنس وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك ؛بل ذلك الأغلب من تأويله عندي)[1].

وأما إيحاؤهم إلى أوليائهم فهو: إشارتهم إلى ما أشاروا لهم إليه إما بقول،وإما برسالة وإما بكتاب[2]

وفي الآية الثانية ضرب مثلاً للمؤمن وللكافر ؛فالمؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل والكفر والمعاصي فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات [3]، والنور الذي أوتيه المؤمن هو القرآن كما روى الطبري عن ابن عباس ، أو هو الهداية والإيمان ، وقيل هو الحكمة[4].

وقال بعضهم: إن المراد بالمثل رجلان معينان: أما الذي كان ميتاً فأحياه الله تعالى :فعمر بن الخطاب رضي الله عنه ،وأما الذي مثله في الظلمات ليس بخارج منها فأبو جهل بن هشام، وقال آخرون : بل الميت الذي أحياه الله عمار بن ياسر[5].

---

(١) تفسير الطبري ٨٢/١٢.

(٢) المصدر نفسه ص٨٦.

(٣) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ٩٤/١٩

(٤) تفسيرالطبري ٩١/١٢.

(٥) عمار بن ياسر العبسي اليماني ، مولى بني مخزوم، أحد السابقين الأولين، شهد بدراً، أمه سمية من كبار الصحابيات، وكذا أبوه، شهد مع علي الجمل وقتل معه بصفين سنة سبع وثلاثين ، ينظر طبقات ابن سعد ٢٤٦/٣ ، سير أعلام النبلاء ٤٠٦/١ ، البداية والنهاية ٣٢٣/٧ ، الإصابة ٥١٢/١.

وقال ابن كثير : والصحيح أن الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر[1].

ثم قال الله تعالى (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) أي مثل ذلك التزيين البليغ عند إيحاء الشياطين، و من جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل للكافرين التابعين للوساوس الشيطانية الآخذين بالمزخرفات التي يوحونها إليهم [2].

فالوحي وحيان: وحي من الرحمن، ووحي من الشيطان ،والوارد في هذه الآية هو: وحي الشيطان، والوحي الشيطاني ينزل على من يشاكل الشياطين كما قال تعالى : ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴾ [الشعراء :٢٢١، ٢٢٢]. أي من الكهان الكذبة الفسقة ، وكما جاء في تفسير الآية السابقة من الاستشهاد بها على حال المختار بن أبي عبيد ،كذلك استُشهد بهذه الآية عند ذكره فقد قيل لابن عمر: إنه يقول إنه يوحى إليه ؟ فقال : صدق ، ذكر الآية (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم)[3].

* * *

(١) تفسير ابن كثير ١٧٨/٢ وينظر: تفسير الطبري ١٢/ ٨٩ ، ٩٠.

(٢) تفسير أبي السعود ١٨٠/٣.

(٣) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية، ج١٣ ص٧٤ ، ٧٥ ، وفي تفسير ابن أبي حاتم أن الذي استشهد بهذه الآية ابن عباس ١٣٧٩/٤ ، وعند ابن كثير أن ابن عمر وكذا ابن عباس استشهدا بها .

الفصل الثاني : الآيات التي جاءت بها الرسل الواردة في سورة الأنعام وموقف المشركين منها.

وفيه تمهيد و مبحثان :

تمهيد :

الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺكثيرة ومتنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسميها من يسميها من المتكلمين : معجزات قالوا : (لأن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها)[1] ، وتسميتها بالآيات والبراهين ودلائل النبوة وأعلام النبوة أدل على المقصود من لفظ المعجزات ، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة ،وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان ، قال تعالى في قصة موسى- عليه السلام- : ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [القصص : ٣٢].

في العصا واليد ، وقال تعالى- في حق محمد ﷺ - ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١٧٤] .

وأما لفظ الآيات فكثير جداً في القرآن الكريم كقوله تعالى :﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].[2]

وتكرر لفظ آية في سورة الأنعام – موضوع البحث- في آيات عديدة أريد ببعضها الآية من القرآن كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا ﴾ [الأنعام : ٦٨]. ، وأريد ببعضها آية النبوة كما في قوله : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ

---

(١) الشفاء ، القاضي عياض ٤٩١/١ وينظر أعلام النبوة ، الماوردي ص٤٢ ، أصول الدين ، البغدادي ، ص١٧٠ ، شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ص٥٦٨ ، المواقف الايجي ص ٣٣٩.

(٢) النبوات ، ابن تيمية ، ص١٩٢ ، ٢٠٧ ، الجواب الصحيح ، ابن تيمية ٦٧/٤- ٦٨.

أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٩] وسميت الآية من القرآن آية لأن معنى هذه الكلمة في اللغة : العلامة [(١)] ، ومن ثم قال بعضهم : لأنها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها وبعدها ، وقد رد ابن تيمية هذا القول لأنه بمعنى الفصل، وذكر أن (الصواب أنها آية من آيات الله ، أي: علامة من علاماته ، ودلالة من أدلة الله، وبيان من بيانه، فإن كل آية قد بُيِّن فيها من أمره وخبره ما هي دليل عليه وعلامة عليه ، فهي آية من آياته، وهي أيضاً دالة على كلام الله المباين لكلام المخلوقين فهي دلالة على الله سبحانه وعلى ما أرسل به رسوله)[(٢)].

والقرآن الكريم من أعظم آيات النبي ﷺ - كما سيأتي مفصلاً- .

وأما الآية التي هي دليل النبوة وبرهانها وموقف المشركين فيها ، فقد جاء في مواضع عديدة في سورة الأنعام ستأتي لاحقاً بعد التعرف على بعض آيات نبوة محمد ﷺ .

المبحث الأول : آيات محمد صلى الله عليه وسلم ، وأسماء القرآن الواردة في سورة الأنعام :

آيات نبينا محمد ﷺ أعظم من آيات غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلم يبلغ أحد منهم من كثرة المعجزات ما بلغه نبينا ﷺ ؛ وهو دليل على مزيد من التشريف والتكريم ، وأما عددها فقد قال ابن تيمية : ومعجزاته تزيد على ألف معجزة[(٣)].

---

(١) كتاب العين ، الخليل بن أحمد ، مادة أيا ٨/٤٤١ ، الصحاح، الجوهري مادة أيا ٦/٢٢٧٥ ، تاج العروس الزبيدي، فصل الهمزة باب الواو والياء ١٠/٢٦.

(٢) النبوات ، ابن تيمية ، ١٧٧.

(٣) المصدر نفسه ، ١/١٤٠.

وقال غيره : أعطي ثلاثة آلاف معجزة[١].

وقال القاضي عياض : (وهو أكثر الرسل معجزة، وأبهرهم آية ،وأظهرهم برهاناً، وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط)[٢].

وكذلك ذكر الأصبهاني أن آياته ﷺ لا تحصى، وكل ما أوتي الأنبياء من الآيات أو الفضائل، قد أوتي ﷺ مثله أو أعظم منه[٣].

وأما السبب في كثرة آياته ﷺ - إضافة إلى تشريفه وتكريمه- فهو: أنه لما كان الإيمان به واجباً على كل أحد، بيَّن الله لكل قوم ؛بل لكل شخص من الآيات والبراهين ما لا يبين لقوم آخرين[٤] .

فآياته ﷺ أعظم من أن تحصى ولا يمكن بشراً الإحاطة بها،ومن أعظم آياته ومعجزاته القرآن الكريم ،وجاءت الإشارة إلى ذلك في سورة الأنعام — موضوع البحث ـ ،وقال ﷺ في الحديث المتفق على صحته : (ما من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ،فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً)[٥] ، ولا يراد بالحديث الحصر ولكن يراد به :آيتي القاهرة ومعجزتي العظيمة الظاهرة هي :القرآن الكريم الذي لم يعط أحد مثله[٦].

---

(١) لوامع الأنوار ، السفاريني ٢/٢٩٠.

(٢) الشفا، القاضي عياض ، ١/٤٩٣.

(٣) دلائل النبوة ، الأصبهاني ٣/٤٤٨.

(٤) الجواب الصحيح ، ابن تيمية ، ٤/٢٤٩.

(٥) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن باب١ ، ح٤٨٩١ ، الفتح ٩/٣، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ، شرح النووي ٢/١٨٦.

(٦) شرح مسلم / النووي ٢/١٨٦.

وذكر الماوردي [1] الأسباب التي جعلت القرآن من أخص آيات الرسول ﷺ وأظهرها فأولها : (أن معجز كل رسول موافق للأغلب من أحوال عصره ، والشائع المنتشر في ناس دهره ، لأن موسى عليه السلام حين بعث في عصر السحرة خص من فلق البحر يبساً وقلب العصا حية ما بهر كل ساحر ، وبعث عيسى في عصر الطب فخص من إبراء الزمنى وإحياء الموتى بما أدهش كل طبيب ، ولما بعث محمد ﷺ في عصر الفصاحة والبلاغة خص بالقرآن في إيجازه وإعجازه بما عجز عنه الفصحاء ، وأذعن له البلغاء).

وأما السبب الثاني فهو: (أن المعجز في كل قوم بحسب أفهامهم ، وعلى قدر عقولهم وأذهانهم ، والعرب أصح الناس أفهاماً ، وأحدهم أذهاناً قد ابتكروا من الفصاحة أبلغها ، ومن المعاني أغربها ، ومن الآداب أحسنها ؛ فخصوا من معجز القرآن بما تجول فيه أفهامهم ، وتصل إليه أذهانهم فيدركوه بالفطنة دون البديهة ، وبالروية دون البادرة لتكون كل أمة مخصوصة بما يشاكل طبعها ويوافق فهمها).

والثالث (أن معجز القرآن أبقى على الأعصار ، وأنشر في الأقطار من معجز يختص بحاضره ، ويندرس بانقراض عصره وما دام إعجازه، فهو أحج وبالاختصاص أحق)[2].

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي ولي القضاء ببلدان شتى ثم سكن بغداد من مصنفاته كتاب : الحاوي في الفقه والنكت في التفسير وأدب الدنيا والدين والأحكام السلطانية وغيرها ، اتهم بالاعتزال مات سنة خمسين وأربع مائة وقد بلغ ستاً وثمانين سنة ينظر : تاريخ بغداد ١٢ /١٠٢ ، طبقات السبكي ٥ /٢٦٧ ، سير أعلام النبلاء ١٨ /٦٤ .

(٢) أعلام النبوة ، الماوردي ، ٧٦ ، وينظر أصول الدين ، البغدادي ، ١٨٢ ، تمهيد الأوائل ، الباقلاني١٨٥ ، الإنصاف ، الباقلاني ص٥٤.

وكون القرآن معجزة وآية وبرهاناً يظهر من وجوه جملةً وتفصيلاً . فأما من حيث الجملة ؛ فإنه قد علم بالتواتر أن محمداً ﷺ ادعى النبوة وجاء بهذا القرآن وتحداهم أن يعارضوه فيأتوا بمثله كما قال تعالى﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَـٰدِقِينَ ﴾ [الطور : ٣٣، ٣٤].

ثم إنه تحداهم بعشر سور مثله فقال ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ﴾ [هود : ١٣].

ثم تحداهم بسورة واحدة منه ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يونس : ٣٨].

وأخبر أن جميع الخلق من الإنس والجن لو اجتمعوا لن يأتوا بمثله فقال : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وهذا التحدي والدعاء لجميع الخلق، وكان الكفار من أحرص الناس على إبطال قوله مجتهدين بكل طريق ، فلو كانوا قادرين على معارضة القرآن لفعلوا مع وجود هذا الداعي التام المؤكد ،ومعلوم أن إرادتهم كانت من أشد الإرادات على تكذيبه وإبطال حجته ، وكانوا أحرص الناس على ذلك ، ومع ذلك لم يفعلوا ولم يستطيعوا ، ولهذا لما قدم وفد حنيفة على أبي بكر وسألهم أن يقرأوا له شيئاً من قرآن مسيلمة استعفوه،فأبى أن يعفهيم حتى قرؤوا عليه شيئاً منه فقال لهم الصديق : ويحكم أين يذهب بعقولكم إن هذا الكلام لم يخرج من رب. فاستفهم استفهام المنكر عليهم لفرط التباين، وعدم الالتباس وظهور الافتراء على هذا الكلام، والله سبحانه لا يتكلم بهذا الهذيان[1].

(١) شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية ص١٦٥، ينظر : الجواب الصحيح، ابن تيمية ٧٧/٤ ، ٧٢/٤-٧٤.

هذا من حيث الجملة أما من حيث التفصيل ، فقد قال قوم إنه معجز لكونه في الدرجة العالية من البلاغة[1].

وقال غيرهم : بل ما اشتمل عليه من النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم في مطالعه ومقاطعه وفواصله[2]،وقال آخرون : هو معجز بمجموع الأمرين أي النظم العجيب وكونه في الدرجة العالية من البلاغة[3].

وقيل : هو إخباره عن الغيب نحو قوله ﴿ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ [الروم : ٣][4].

وقيل عدم اختلافه وتناقضه مع ما فيه من الطول[5].

وذهب الجمهور وأكثر العلماء إلى أنه معجز بوجوه كثيرة من الإعجاز ، فلا تناقض في وجوه إعجازه بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له .

فذكر القاضي عياض من وجوه إعجازه : حسن تأليفه، وفصاحته ،وبلاغته وصورة نظمه العجيب ،وما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وكونه آية باقية تعهد الله بحفظه ،وأن قارئه لا يمله، وسامعه لا يمجه ؛بل الانكباب على تلاوته يزيده حلاوة ،وجمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد ﷺ خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ،وجمعه فيه بين الدليل ومدلوله وغير ذلك[6] .

---

(١) وهذا قول الجاحظ ، ينظر : المواقف حـ٣٤٩ ، وكذلك قول القاضي عبد الجبار ، ينظر : المغني ٣١٨/١٦.

(٢) المواقف الإيجي ص٢٤٩ ، وينظر الاعتقاد ، البيهقي ص ١٥٩.

(٣) وهذا قول أبي بكر الباقلاني ، تمهيد الأوائل الباقلاني ١٨٥ ، الإنصاف ، الباقلاني ٥٤ ، ينظر : المواقف ٣٥٠، وكذلك قول الجويني ، الإرشاد ٢٩٢ ، اللمع ١٢٥ ، وقول الآمدي ، غاية المرام ٣٤٢.

(٤) ., ينظر الانتصار ، الخياط ، ص٢٨

(٥) المواقف ، الإيجي ٣٥٠.

(٦) ينظر: الشفا، القاضي عياض ٥٠٠/١- ٤٥٠ ، ينظر: أعلام النبوة ، الماوردي ص٧٨- ٩٥، أصول الدين ، البغدادي ص١٨٣ ، فتح الباري ، ابن حجر ٥٨١/٦ ، شرح المقاصد ، التفتازاني ٢٨/٥ ، شرح جوهرة التوحيد ، البيجوري ص١٢٠ ، إظهار الحق ، الكيرانوي ، ٣، ٧٧٥.

وقال ابن تيمية : (فلفظه آية ، ونظمه آية ، وإخباره بالغيوب آية ، وأمره ونهيه آية ، ووعده ووعيده آية ، وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوب آية ، وإذا ترجم بغير العربي كانت معانيه آية)[1].

وأضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام[2]، إعجاز القرآن بالصرفة ، على معنى أن العرب كانت قادرة على كلام مثل القرآن قبل مبعث النبي ﷺ، لكن الله صرفهم عن معارضته بسلب الدواعي بعد المبعث ، فهذا الصرف خارق للعادة فيكون معجزاً [3].

قالوا : مثل قوله تعالى لزكريا ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ [مريم : ١٠] ، فيقال لهم: لا يصح قولكم ؛ لأن كفار العرب يعرفون أنه لم يختلف حال قدرتهم قبل سماعه وبعد سماعه ، فلا يجدون أنفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه ، كما وجد زكريا عليه السلام عجزه عن الكلام بعد قدرته عليه ، كذلك قد انتدب غير واحد لمعارضة القرآن لكنه جاء بكلام فضح به نفسه وظهر به تحقيق ما أخبر به الله تعالى من عجز الخلق عن الإتيان بمثله مثل قرآن مسيلمة الكذاب : يا ضفدع بنت ضفدعين ، نقي كم تنقين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين ، رأسك في الماء ، وذنبك في الطين [4].

---

(١) النبوات ، ابن تيمية ، ١١٢ ، ١١١ .

(٢) وهم أكثر القدرية كما ذكر ذلك البغدادي في أصول الدين ص١٨٣ ، وفي المواقف : أن القائل بهذا : النظام من المعتزلة وأبو اسحق الاسفرائيني من الأشاعرة ٣٥٠ ، ينظر : شرح المقاصد ٢٨/٥ ، وكان القاضي عبد الجبار يقول : إن دواعي المشركين انصرفت عن المعارضة لعلمهم بأنها غير ممكنة ، ينظر : المغني ٣٢٤/١٦.

(٣) ينظر : إظهار الحق ، الكيرانوي ٧٩٨/٣- ٨٢١.

(٤) ينظر : الجواب الصحيح ، ابن تيمية حـ٤ ص٧٥- ٧٦.

وذكر القاضي عياض أن ابن المقفع [1] طلب معارضة القرآن، ورام ذلك ، وشرع فيه ،فمر بصبي يقرأ ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾) [هود : ٤٤]. فرجع فيما عمل وقال : أشهد أن هذا لا يعارض، وما هو من كلام البشر، وكان أفصح أهل وقته [2].

وقد اجتمع في القرآن من الآيات (ما لم يجتمع في غيره فإنه هو الدعوة والحجة وهو الدليل والمدلول عليه، والحكم، وهو الدعوى وهو البينة على الدعوى، وهو الشاهد والمشهود به) [3].

ورد ذكر القرآن وصفاته في سورة الأنعام في عدة آيات في سورة الأنعام موضوع البحث ،دلت تلك الآيات على أوصاف وأسماء [4] للقرآن الكريم وأول هذه الأسماء هو اسم القرآن الوارد في قوله تعالى﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] .

وهذا الاسم وقع الخلاف في اشتقاقه على رأيين ، أحدهما يرى أنه ليس بمشتق،بل هو اسم ليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأت ، ولو أخذ من قرأت كان كل ما قرئ قرآناً ،ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل .

---

(١) عبد الله بن المقفع الكاتب المفوه أسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور، كان متهماً بالزندقة وهو الذي صنف كتاب كليلة ودمنة ويقال بل عربها من المجوسية إلى العربية ، كان بارعاً فصيحاً، قتل على يد نائب البصرة بأمر الخليفة المنصور سنة خمس وأربعين ومائة ، ينظر : البداية والنهاية ١٠/ ٩٨- ٩٩ .

(٢) الشفا، القاضي عياض ١/ ٥٣١ .

(٣) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ١٤/ ١٩٠.

(٤) كل اسم من أسماء القرآن الكريم يدل على ما في الأسم من صفة ويدل أيضاً على الصفة التي في الاسم الآخر بطريق اللزوم ينظر الفتاوى ، ابن تيميه ١٣ / ٣٣٤ .

والرأي الثاني أنه مصدر قرأ قراءة وقرآناً ، وهو الصحيح ومنه قوله تعالى :
﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٧ ، ١٨].

فهنا أراد مسمى المصدر وهو القراءة،وقد يراد به اسم المفعول مثل قوله تعالى﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤]وإنما يسمع الكلام وهو اسم المفعول .

وغالب ما يذكر لفظ القرآن إنما يراد به نفس الكلام المقروء،لايراد به التكلم بالكلام الذي هو مسمى المصدر[١].

وأما عن تسمية القرآن بهذا الاسم فقد قال ابن الأثير [٢]: الأصل في هذه اللفظة الجمع ،وكل شيء جمعته فقد قرأته ،وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض [٣].

وقال غيره : تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه بل لجمعه ثمرة جميع العلوم[٤].

وأما قوله : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنعام :٦٦] .

فوصف هنا بأنه الحق، فالضمير في قوله (به) يعود إلى القرآن كما ذكر

---

(١) ينظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ١٣ /٨ ، ١٧ /٤٦ ، سير أعلام النبلاء ،الذهبي ١٠ /١٣ ، لسان العرب ابن منظور ، مادة قرأ ١ /١٢٨- ١٢٩ ، تاج العروس ، الزبيدي ، مادة قرأ ١ /١٠١ .

(٢) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني في الجزري ثم الموصلي صاحب جامع الأصول والنهاية في غريب الحديث وغيرها ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، توفي سنة ست وستمائة بالموصل ، ينظر : سير أعلام النبلاء ٢١ /٤٨٨ ، البداية والنهاية ١٣ /٥٩ .

(٣) النهاية في غريب الحديث ، ابن الأثير ، ٤/٣٠ .

(٤) المفردات ، الراغب ، ٤٠٢ .

ذلك القرطبي وابن كثير [1] وغيرهما . والحق هو الذي لامرية فيه ولاشك يعتريه[2].

قال الله تعالى ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ﴾ [البقرة : ١ ، ٢]. أي لاشك فيه بوجه من الوجوه ، فهو مشتمل على علم اليقين الذي يزيل كل شك .

ووصف القرآن بعدة صفات في قوله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الأنعام : ٩٢].

فوصف بأنه : كتاب ، وأنه منزل من الله ، وأنه مبارك ، وأنه مصدق الذي بين يديه ، ولفظ كتاب في اللغة مصدر كتب يكتب كتباً وكتاباً وكتابة ، والكتاب في الأصل مصدر ثم سمي المكتوب فيه كتاباً ، والكتاب اسم لما كتب مجموعاً وكتب كتاباً أي خطة والكتب : الجمع[3]. وهو من أسماء القرآن الكريم .

قال الطبري : (كتاب اسم من أسماء القرآن ومعناه مكتوب)[4].

وسمي كتاباً باعتبار أنه مجموع مكتوب تحفظ حروفه ويقرأ ويكتب [5]، والقرآن هو الكتاب على الحقيقة الذي قد اشتمل على ما لم تشتمل عليه كتب المتقدمين من العلم العظيم والحق المبين[6].

وأما وصفه بأنه منزل من الله فهو تحقيق لنزول القرآن الكريم وأنه من عند الله لا من عند الرسول ﷺ[7].

---

(١) تفسير القرطبي ٧ /١١ وتفسير ابن كثير ٢ /١٤٩

(٢) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ٢ /٤١٥ .

(٣) ينظر : المفردات ، الراغب ٤٢٣ ، لسان العرب ، ابن منظور مادة كتب ١/٦٩٨ ، تاج العروس ، الزبيدي ، مادة كتب ١/٤٤٤ .

(٤) تفسير الطبري ١١ /٥٢٠ .

(٥) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ١٣ /٩ .

(٦) ينظر تفسير السعدي ١ /٣٩ .

(٧) التفسير الكبير ، الرازي ١٣ /٨٠ ، تفسير أبي السعود ٣ /١٦٠

كذلك في هذا الوصف دلالة على أمور منها : بطلان قول من يقول إنه كلام مخلوق خلقه الله في جسم من الأجسام كما هو قول الجهمية(١). أو أنه ليس منزل من الله بل مخلوق خلق في جبريل أو محمد أو غيرها ، كذلك بطلان قول من قال إن محمداً ﷺ مفتر في نسبته إلى الله وأنه هو الذي ألفه(٢).

ووصف بأنه مبارك لكثرة خيراته وسعة مبراته(٣). والمبارك على وزن مفاعل من البركة ، أي كثير البركة ؛ وهي في اللغة تدور حول عدة معان هي : النماء والزيادة والسعادة والتشريف والكرامة والتيمن ، وهي أيضاً : الكثرة في كل خير. فالمبارك : ما يأتي من قبله الخير الكثير(٤).

قال أبو السعود : مبارك أي كثير الفوائد، وجم المنافع ديناً ودنياً (٥)،فهو مبارك لثبوت الخير الإلهي فيه(٦). ويذكر الرازي (٧)معنى آخر فيقول : (وفائدة

---

(١) نسبة إلى الجهم بن صفوان المتوفي عام ١٢٨هـ ومن أشهر أقوالهم : نفي الصفات والقول بالجبر وفي باب الإيمان هم من المرجئة الخالصة ونسبة إلى الجهم بن صفوان أقوال منها : فناء الجنة والنار ، وأن الله يعدم العالم عدماً محضاً ثم يعيده وإنكار الميزان وغير ذلك ، ينظر : التنبيه والرد ص ١٠٦ ، مقالات الإسلاميين ٣٣٨/١ ، الفرق بين الفرق ص ١٥٨ ، الملل والنحل ٨٦/١ .

(٢) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ١٢ /١١٧ وينظر :تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ٤٣٢/٢.

(٣) فتح القدير، الشوكاني ٢/ ١٣٨.

(٤) ينظر : لسان العرب ابن منظور ، مادة برك ١٠ /٣٩٥ ، تاج العروس ، الزبيدي مادة برك ٧ /١٠٥.

(٥) تفسير أبي السعود ٣ /١٦٠ ، ٢٠٠ .

(٦) المفردات ، الراغب ، ٤٤ .

(٧) محمد بن عمر بن الحسن البكري أبوعبدالله ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة وظهر منه في تآليفه انحراف عن السنة وتوفي على طريقة حميدة نقل السبكي وصيته في الآخذ بطريقة القرآن في الإثبات والنفي توفي سنة ست وستمائة ينظر في ترجمته : طبقات الشافعي –السبكي ٥ /٣٣- ٤٠ سير أعلام النبلاء ٥٠٠/٢١ ، البداية والنهاية ١٣ /٦٠ .

وصفه بأنه مبارك أنه ثابت لا يتطرق إليه كما في الكتابين أو المراد انه كثير الخير والنفع)[١] .

ووصف بأنه مصدق الذي بين يديه ؛فلأنه صدق ووافق ما قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ولم يخالفها دلالة ومعنى ، وشهد لها بالصدق فهو يوافقها في الدعوة إلى الله وإلى توحيده وإن خالفها في بعض الأحكام [٢].

وهو مشتق من الصدق ،وهو نقيض الكذب ، والمصدِق هو الذي يصدقك في حديثك ،فهو قد صدق الكتب السابقة ،وصدق من جاء بها من المرسلين[٣].

قال ابن عباس - رضي الله عنه - : مصدق : شاهد وقال : وأنت تتلو عليهم يا محمد وتخبرهم به غدوة وعشياً وبين ذلك ،وأنت عندهم لم تقرأ كتاباً وتخبرهم بما في أيديهم على وجهه وصدقه، وفي ذلك عبرة، وبيان وحجة عليهم لو كانوا يعقلون [٤].

وأما قوله تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام : ١١٤].

فقد وصف القرآن فيها بأنه منزل من الله وأنه مفصل .

---

(١) التفسير الكبير للرازي ١٤/٤.

(٢) ينظر : تفسير الطبري ١١ :٥٢٠ ، تفسير أبي السعود ١٦٠/٣ ، فتح القدير ، الشوكاني ١٤٨/٢ ، تيسير الكريم الرحمن السعدي ٢ /٤٣٢ .

(٣) ينظر : تاج العروس ، الزبيدي ، مادة صدق ٦ /٤٠٤ ، لسان العرب ، ابن منظور ، مادة صدق١٠ /١٩٣ ، تيسير الكريم الرحمن السعدي ٢ /٣٥٥ .

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٤ /١٣٤٤ .

والفصل في اللغة : هو الحق من القول ، وبه فسر قوله تعالى ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٌ فَصۡلٌ ﴾ [الطارق : ١٣] أي فاصل قاطع .

والتفصيل : التبيين قال الراغب : الفصل إبانة أحد الشيئين من الآخر حتى يكون بينهما فرجة.ومنه قوله تعالى ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﴾ [الإسراء : ١٢]وقوله ﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [فصلت : ٣] قيل المراد : تفصيل آياته بالفواصل أو بينَّاه[1].

فمعنى قوله (مفصلاً) هنا هو : مبنياً فيه الفصل بين الحق والباطل ،ومبيناً فيه الحكم فيما يختصمون فيه من أمره ﷺ،والشهادة له ﷺبالصدق وعليهم بالافتراء ،وهو في بيانه ينفي التخليط والالتباس ، وموضحاً فيه الحلال والحرام والأحكام الشرعية وأصول الدين وفروعه ؛ فلا بيان فوق بيانه ، ولا برهان أجلى من برهانه ، ولا أحسن منه حكماً ولا أقوم قيلاً ، لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحمة[2].

ومن التفصيل الوارد في القرآن الكريم : قصص الأنبياء عليهم السلام مما لا يوجد في التوارة والإنجيل :مثل قصة هود وصالح وشعيب وغيرهم ، وكذلك ذكر المعاد وتفصيله، وصفة الجنة والنار والنعيم والعذاب ممالا يوجد مثله في التوراة والإنجيل [3].

---

(١) ينظر : لسان العرب ، مادة فصل ٥٢١/١١ ،تاج العروس الزبيدي ، مادة فصل ، ٥٩/٨.

(٢)ينظر : تفسير الطبري ١٢ /٦٠ ، الكشاف ، الزمخشري ٢ /٤٦ . تفسير القرطبي ٧ /٧٠ ، تفسير البيضاوي ٤ /١٦ ، الفتوحات الإلهية ٢ /٨٠ ، نظم الدرر ، البقاعي ٦٩٨/٢ ، فتح القدير ، الشوكاني ٢ /١٠٥ ، تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ٢ /٤٦٠ .

(٣) الجواب الصحيح ، ابن تيميه جـ ١ ص ٢٠٠ .

والآية التي بعدها وهي قوله تعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١١٥].

والكلمة هنا هي القرآن كما قال الطبري : (كلمة ربك) يعنى القرآن سماه كلمة كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر : هذه كلمة فلان[١].

وقد وصفت الكلمة – أي القرآن – بعدة صفات هنا هي : التمام ، وأنها كلام الله ،والصدق ،والعدل، وأنه لا مبدل لها أي أنها محفوظة .

فأما الصفة الأولى وهي التمام فهي من : تم الشيء تماماً وتماً إذا جعله تاماً أي: منتهياً إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه ، والتمام بمعنى الكمال فهما مترادفان ، وقيل التمام الإتيان بما نقص من الناقص ، والكمال الزيادة على التمام ؛ وكلام الله يوصف بالتمام لأنه لا يكون فيه نقص أو عيب كما في كلام الناس[٢]

قال الطبري : (وكملت كلمة ربك)[٣] ،وقال البيضاوي[٤]: (بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده)[٥].

---

(١) تفسير الطبري ١٢/٦٢.

(٢) ينظر لسان العرب ، ابن منظور ماذة تمم ١٢ /٦٧ ، تاج العروس ، الزبيدي مادة تمم ٨ /٢١٢

(٣) تفسير الطبري ١٢ /٦٢ .

(٤) أبو سعيد أو أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي فقيه متكلم أشعري ، ولي قضاء شيراز .له كتب من أشهرها كتابه في التفسير وعرف به عول فيه على الزمخشري وكتب عليه عدة حواشي توفي في تبريز سنة خمس وثمانين وستمائة ، ينظر : البداية والنهاية ١٣ /٣٢٧ ، الأعلام ٤ /١١٠ ، كشف الظنون ١ /٨٦.

(٥) تفسير البيضاوي ٤ / ١١٧ .

كذلك لا يراد (أنه عرض لها التمام بعد ضده بل المراد أنها بدئت كذلك واستمرت عليه)[١].

وفي قوله (كلمة ربك) وقوله (لامبدل لكلماته) دليل على أن القرآن كلام الله تعالى ، وفيه رد على الجهمية الذين أضافوا الكلام إلى مخلوق خلقه الله خارجاً عنه .

كذلك فيه رد لقول المشركين الذين قالوا : إن محمداً ﷺ قد افتراه من تلقاء نفسه.

ووصف بالصدق والعدل في قوله (صدقاً وعدلاً) قال قتادة : صدقاً فيما قال، وعدلاً فيما حكم[٢].

فأخباره كلها صدق وحق لامرية فيه ولا شك ، وأحكامه كلها عدل لاعدل سواها ، وكل ما نهى عنه فباطل ؛فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة .

والصدق والعدل تامان تماماً مطلقاً ، فقد بلغ القرآن الغاية القصوى ، صدقاً في الأخبار والمواعيد ، وعدلاً في الأقضية والأحكام[٣].

والعدل في اللغة : ضد الجور وهو الحكم والمرضي قوله وحكمه[٤].

وأما قوله (لامبدل لكلماته) فيؤخذ منه وصف القرآن بأنه محفوظ ، قال قتادة: لا مبدل لها فيما حكم به[٥].

---

(١) حاشية الشهاب ٤ /١١ .

(٢) تفسير الطبري ١٢ /٦٣ ، تفسير ابن كثير ٢ /١٧٣ .

(٣) ينظر : تفسير ابن كثير ٢ /١٧٣ ، فتح القدير ، الشوكاني ٢ /١٥٥ ، تفسير أبي السعود ٣ /١٧٨ .

(٤) ينظر لسان العرب ابن منظور ، مادة عدل ١١ /٤٣٠ ، تاج العروس ، الزبيدي مادة عدل ٨ /٩ .

(٥) تفسير القرطبي ٧ /٧٠ .

فلا يتطرق إليه التغيير والتبديل كما غير أهل الكتاب التوراة والإنجيل ،فقد حفظ الله القرآن وأحكمه بأعلى أنواع الصدق وبغاية الحق فلا يمكن تغييره ولا اقتراح أحسن منه[1]

فكلما لا أحد يبدل شيئاً منها بما هو أصدق وأعدل، لا أحد يقدر أن يحرفها كما فعل بالتوراة بل قد ضمن الله حفظ القرآن بقوله﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩].

كذلك لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل أحكامها[2].

ويرى الطبري أن معنى قوله (لا مبدل لكلماته) : أي لا مغيِّر لما أخبر في كتبه أنه كائن من وقوعه في حينه وأجله الذي أخبر الله أنه واقع فيه، ولا يراد أنه لا يزيد المفترون في القرآن ولا ينقصون، ذلك أن الله أخبر عن اليهود والنصارى أنهم يحرفون غير الذي أخبر أنه لا مبدل له[3].

فيكون المراد تأكيد الصدق في الأخبار والغيوب المستقبلية ،ولا مانع من إرادة المعنيين .

وأما قوله تعالى :﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام :١٥٥] فقد ذكر فيها أن القرآن كتاب، وهو كما سبق من أسمائه ،وأنه منزل من الله، وأنه مبارك وهاتان صفتان له وقد سبق الحديث عنهما.

والآية الأخيرة التي وردت في السورة وحوت أوصافا للقرآن هي قوله تعالى :﴿ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن

(١) ينظر : نفس المصدر والصفحة ، تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ٢ /٤٦٠ .

(٢) تفسير البيضاوي ٤ :١١٧- ١١٨ ، تفسير ابي السعود ٣ /١٧٨

(٣) تفسير الطبري ، ١٢/ ٦٢ –٦٣ .

رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأنعام ١٥٧] ، فوصف القرآن فيها أنه بينة وأنه هدى وأنه رحمة .

فأما البينة في اللغة فيدور معناها حول : التبيين والإيضاح والوضوح والكشف عن الشيء والظهور ؛ فيقال : بان الحق يبين بياناً فهو بائن ، وأبان يبين إبانة فهو مبين ، والبينة والبيان بمعنى واحد ، والبيان ما بين به الشي من الدلالة وغيرها و بان الشيء بياناً اتضح فهو بيّن[١]

والقران بينة لأنه في نفسه ظاهر واضح ، وكذلك لأنه أظهر غيره مثل ما أظهره من دلائل الوحدانية ، ودلائل صدق نبوة محمد ﷺ وغير ذلك وقطعت به الشبهات ؛ قال ابن تيمية : (يقال : بيّن الأمر أي تبيّن في نفسه ويقال بيّن غيره فالبيّن اسم لما ظهر في نفسه ولما أظهر غيره)[٢].

والبيان هو : إظهار المقصود بأبلغ لفظ ، وجاء في القران الكريم بيان للحلال و للحرام وذكر المفسرون في هذه الآية أن معنى قوله (بينة) : حجة واضحة ، وعبر عنها بالبينة لأنه كان بلسان العرب المخاطبين في هذه الآية ، وفي هذا إيذان بكمال تمكنهم من دراسته[٣].

وأما الهدى في اللغة فهو : مصدر هداه هدىً ، وهو الرشاد والدلالة ضد الضلالة[٤].

---

(١) تاج العروس الزبيدى مادة ١٤٨/٩ ، لسان العرب ابن منظور مادة بين ٦٧/١٣ - ٦٨

(٢) النبوات – ابن تيمية ، ١٥١

(٣) ينظر : زاد المسير ابن الجوزى ١٥٥/٣ تفسير ابن كثير ، ٢٠٠/٢ ، تفسير ابى السعود ٢٠٠/٣ ، نظم الدرر البقاعي ٧٤٨/٢

(٤) لسان العرب ابن منظور مادة هدى ٣٥١/١٥ ، تاج العروس – الزبيدي – مادة هدي ٤٠٦/١٠

فالقران هدى وبيان للحق وفرقان بين الصواب والخطأ ،وهو هدى لما في القلوب من الضلالة وبيان لمن تدبره[1] ،والهدى (هو بيان ما ينتفع به الناس ويحتاجون إليه ،وهو ضد الضلالة فالضال يضل عن مقصوده وطريق مقصودة ، وهو سبحانه بيّن في كتبه ما يهدي الناس فعرفهم ما يقصدون وما يسلكون من الطرق).[2]

وقال تعالى : (هدى) وحذف المعمول ؛فلم يقل هدى للمصلحة الفلانة ولا للشيء الفلان لإرادة العموم، وأنه هدى لجميع مصالح الدارين، فهو مرشد للعباد في المسائل الأصولية والفرعية ومبين للحق من الباطل والصحيح من الضعيف ، ومبين لهم كيف يسلكون الطرق النافعة لهم في دنياهم وأخراهم [3].

ووصف القران بأنه رحمة، قال الطبري: ورحمة لمن عمل به واتبعه[4].

وقال ابن كثير : ورحمة من الله بعباده الذين يتبعونه ويقتفون ما فيه [5]

وبالجملة هو إكرام وسعادة في الدين والدنيا لمن قبله وآمن به [6].

المبحث الثاني : موقف الكفار من الآيات التي جاءت بها الرسل :

ومع هذه الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة التي جاء بها النبي ﷺ إلا أن الكفار قابلوها بالإعراض والاستهزاء والإنكار والافتراء ،أو ربما اقترحوا عليه

---

(١) ينظر : زاد المسير ابن الجوزى ١٥٥/٣ تفسير ابن كثير ،٢٠٠/٢ ، تفسير ابى السعود ٢٠٠/٣ ، نظم الدرر البقاعي ٧٤٨/٢.

(٢) النبوات – ابن تيمية- ١٥١

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن –السعدى ٤٠/١

(٤) تفسير الطبرى ٢٤٢/١٢

(٥) تفسير ابن كثير ٢٠٠/٢

(٦) ينظر : نظم الدرر البقاعي ٧٤٨/٢ ،تيسير الكريم الرحمن السعدى٥٠٤/٢

آيات أخرى، أو طلبوا أن يؤتيهم الله من الآيات مثل ما آتى نبيه عليه الصلاة والسلام ، وهذا مذكور في آيات سورة الأنعام ومنها :

قوله تعالى ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام : ٤ ، ٥].

ففي الآية بيان لكفر المشركين بآيات الله وإعراضهم عنها ؛وأنهم مهما تأتيهم حجة من حجج ربهم- ومن لاستغراق الجنس- ، وعلامة ودليل من الأدلة وعَلَم من الأعلام على وحدانيته وحقيقة نبوة محمدﷺ ، إلا كانوا عنه معرضين، والإعراض سبب من أسباب كفرهم ،وصدودهم عن قبول الآية والإقرار بما شهدت على حقيقته جهلاً منهم بالله واغتراراً بحلمه عنهم[1]. وهم بتكذيبهم بالحق سوف يرون صدق ما جاء به الرسول ، واختلف في المراد بالحق فقيل إنه الآيات التي جاء بها الرسول ﷺ ومنها انشقاق القمر ، وقيل إنه القرآن، وقيل إنه محمد ﷺ ، وقيل إنه الشرع ، قال الرازي: (والأولى دخول الكل فيه) .

فرتب الله تعالى (أحوال هؤلاء الكفار على ثلاث مراتب ؛فالمرتبة الأولى كونهم معرضين عن التأمل في الدلائل والتفكير في البينات، والمرتبة الثانية كونهم مكذبين بها وهذه المرتبة أزيد مما قبلها لأن المعرض عن الشيء قد لا يكون مكذباً به بل قد يكون غافلاً عنه غير متعرض له فإذا صار مكذباً له فقد زاد على الإعراض ،والمرتبة الثالثة : كونهم مستهزئين بها لأن المكذب بالشيء قد لا يبلغ تكذيبه به إلى حد الاستهزاء ،فإذا بلغ إلى هذا الحد فقد بلغ الغاية القصوى في

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ، ٢٦١/١١- ٢٦٢ ،تفسير القرطبي ، ٣٩٠/٦ ، الجواب الصحيح، ابن تيمية ٢٧٨/٤. التفسير الكبير: الرازي ١٥٧/١٢ .

الإنكار، فبين تعالى أن أولئك الكفار وصلوا إلى هذه المراتب الثلاثة على هذا الترتيب)[1].

ودلت الآية الثانية وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام : ٧]، على شدة كفرهم وقوته بحيث أنهم لو أنزل عليهم كتاباً في قرطاس فرأوه بأعينهم، ولمسوه بأيديهم، فاجتمع لهم إدراك الحاستين ليرتفع عنهم كل ارتياب ويزول عنهم كل إشكال لعاندوا فيه ،وتابعوا كفرهم ،وقالوا : سحر مبين، فما تزيدهم الآيات إلا تكذيباً .

قال القرطبي : وهذه الآية جواب لقولهم ﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ﴾) [الإسراء: ٩٣]. ، فأعلم الله بما سبق في علمه من أنه لو نزل لكذّبوا به[2].

وقولهم (إن هذا إلا سحر مبين) أي بيّن كونه سحراً تعنتاً وعناداً للحق فمن تأمل ما جئتنا به بان له أنه سحر لا حقيقة له[3].

والسحر في اللغة هو: كل شيء خفي سببه ولطف ودق، وكذلك هو صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره[4]. وسمي الساحر بهذا لأنه يفعل السحر خفية ولأنه يصرف الشيء عن حقيقته[5].

---

(١) نفس المصدر والصفحة .

(٢) تفسير القرطبي ٣٩٢/٦.

(٣) ينظر: تفسير الطبري ٢٦٥/١١ ، تفسير ابن أبي حاتم ٢٦٥/٤، زاد المسير ، ابن الجوزي ٧/٣ ، تفسير الجلالين ١٠٥ ، تفسير أبي السعود ١١٢/٣ ، فتح القدير، الشوكاني ١٠١/٢ ، أضواء البيان ، الشنقيطي ١٦٤/٢.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة ، الأزهري مادة سحر ١٩٢/٤ ، الصحاح ، الجوهري مادة سحر ٦٧٨/٢ ، معاني القرآن ، الفراء ٢٤١/٢.

(٥) ينظر: فتح القدير ، الشوكاني ١١٩/١.

وذكر العلماء فروقاً بين آيات الأنبياء وبين خوارق السحرة منها : أن خوارق السحرة تستفاد بالتعليم ،فيتعلمها من ليس يحسنها فيصير مكافئاً لمن أحسنها ، ويعارضها بمثلها ، وأما آية النبي فهي مختصة بالنبي(١).

ومنها أن الأنبياء لا تأمر إلا بالعدل ولا تفعل إلا العدل ، وأما المخالفون لهم مثل السحرة فلابد لهم من الظلم ،كذلك ما تخبر به الأنبياء لا يكون إلا صدقاً ، وأما السحرة فلابد في أخبارهم من الكذب ، كذلك ما يأتي به السحرة والكهان لا يخرج عن كونه مقدوراً للإنس والجن ،وآيات الأنبياء لا يقدر على مثلها لا الإنس ولا الجن(٢).

ثم في الآية التي بعدها يخبر الله تعالى أنهم –أي الكفار- اقترحوا ظهور الملك وبيّن لوازم ذلك فقال : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٨].

فهذه الآية المقترحة لو أتتهم ثم لم يؤمنوا لأهلكوا بعذاب الاستئصال .

ثم في الآية الرابعة وهي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٥]. يبين الله تعالى حال المشركين عند سماعهم القرآن وأنهم يصغون بجهدهم وذلك في بعض الأوقات ، وهذا الاستماع لما كان خالياً من قصد الحق واتباعه فإنهم لا يفقهون ما تقول ولا تتدبر قلوبهم ما تقول ،فهم إنما يسمعون صوتك وقراءتك وكلامك ، ولا يعقلون عنك ما تقول لأن الله قد جعل على قلوبهم (أكنة) وهي جمع كنان

---

(١) ينظر: أعلام النبوة ، الماوردي ص٣٦.

(٢)ينظر: النبوات ، ابن تيمية ، ٢٧٩.

وهو الغطاء،(وفي آذانهم وقراً) أي ثقلاً يمنع من سمعه حق السمع لأنه يمنع من وعيه الذي هو غاية السماع ، فهم لا يؤمنون بما يسمع منك، ولما ذكر ما يتعلق بالسمع ذكر ما يظهر للعين معبراً بما يعم السمع وغيره من أسباب العلم فقال : (وإن يروا كل آية) أي كل حجة وعلامة تدل أهل الحجى والعقول على توحيد الله، وصدق قولك، وحقيقة نبوتك ،فهم لا ينقادون لها ولا يصدقون بها ؛بل يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق .

قال القرطبي : (أخبر الله تعالى بعنادهم لأنهم لما رأوا القمر منشقاً قالوا : سحر ، فأخبر الله عز وجل بردهم الآيات بغير حجة)[1].

(حتى إذا جاءوك يجادلونك) أي حتى إذا صاروا إليك بعد معاينتهم الآيات الدالة على حقيقة ما جئتهم به ، فإنهم يجادلونك بالباطل ليدحضوا به الحق وهذا غاية الظلم والعناد في أن الآيات البينات الدالة على الحق لا ينقادون لها ولا يصدقون بها ، وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون :(إن هذا إلا أساطير الأولين) أي هذا ما كتبه الأولون فما جئت به مأخوذ من كتب الأوائل وصحفهم المسطورة التي ليست عن الله ،ولا عن رسله ،وهذا من كفرهم ،وإلا فكيف يكون هذا الكتاب الحاوي لأنباء السابقين واللاحقين والحقائق التي جاءت بها الأنبياء والمرسلون ،والحق والقسط والعدل التام من كل وجه أساطير الأولين ! وقولهم هذا رتبة من الكفر لا غاية وراءها ،إذ كيف يكون أحسن الحديث وأصدقه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الأباطيل والخرافات[2].

---

(١) تفسير القرطبي ٦/٤٠٥.

(٢) ينظر : تفسير الطبري ١١/٣٠٥ ، الكشاف ، الزمخشري ٢/١٢ ، زاد المسير ، ابن الجوزي ٣/٩١ ، تفسير ابن كثير ٢/١٣١ ، تفسير أبي السعود ٣/١٣١ ، نظم الدرر ، البقاعي ٢/٦٢١ ، تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ٢/٣٨٧.

وذكر في معنى الأساطير :أنها جمع إسْطارة وأُسطورة من سطر يسْطُر سطراً فعلى هذا يكون المعنى : ما هذا إلا ما كتبه الأولون . وقيل بل الأساطير: الأباطيل والترهات[1].

وقد أراد الكفار في هذه الآية كلا الأمرين ، ووصفهم القرآن بأنه أساطير الأولين من الكذب الظاهر المعلوم لأعدائه ﷺ فضلاً عن أوليائه ،لأنهم يعلمون أنه ليس عنده ﷺ أحد يعينه على ذلك ولا في بلده من يحسن ذلك ليعينه ، ولهذا لما زعم بعضهم أنه تعلم من غلام نصراني بمكة ظهر كذبهم لكل أحد كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].

فذاك الرجل الأعجمي لا يمكنه أن يتكلم بكلمة من هذا القرآن العربي ومحمد ﷺ عربي لا يعرف شيئاً من ألسنة العجم[2].

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٣٥].

ففيها بيان لحرصه ﷺ على هداية قومه ،فيقول الله تعالى له : وإن كان عظم عليك يا محمد إعراض هؤلاء المشركين عنك وانصرافهم عن تصديقك فيما جئتهم به من الحق الذي بعثتك به ؛ إذ كان ﷺ شديد الحرص على إيمان قومه ، فكان إذا

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١١/٣٠٨- ٣٠٩، تفسير القرطبي ٦/٤٠٤.

(٢) الجواب الصحيح ١/١٤٢

سألوا آية يود أن ينزلها الله تعالى طمعاً في إيمانهم ، (فإن استطعت) أن تتخذ سرباً في الأرض مثل نافقاء اليربوع وهي إحدى حجراته فتذهب فيه ، أو مصعداً تصعد فيه كالدرج وشبهها (فتأتيهم بآية) يعني بعلامة وبرهان على صحة قولك مما اقترحوا غير الذي أتيتك فافعل[1]، ولم يذكر الجواب لدلالة الكلام عليه ،ومعرفة السامعين بمعناه ،وقد تفعل العرب ذلك فيما كان يفهم معناه عند المخاطبين به. ويجوز أن يكون ابتغاء النفق في الأرض أو السلم في السماء نفس الإتيان بالآية . فالفاء يجوز أن تكون جوابية أو تفسيرية[2]، ولو فعلت ذلك فإنهم لن يزدادوا إلا إعراضاً ؛لأن الله قد شاء ضلال بعضهم[3].

ثم نهى الله تعالى نبيه ﷺعن الحرص الشديد على إسلامهم ،والميل إلى إتيان ما يقترحون من الآيات طمعاً في إيمانهم ،ونهاه عن أن يكون ممن لا يعلم أن الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه بلطفه ،وأن من يكفر به لسابق علمه الله فيه ونافذ قضائه بأنه كائن ، وذلك لئلا يكبر عليه إعراض من أعرض من المشركين عما يدعوهم إليه من الحق وتكذيب من كذب منهم[4].

وقيل إن الخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ فالمراد به أمته ؛لأنها كانت تضيق صدورهم بتمرد الكفرة وتصميمهم على كفرهم ،ولا يشعرون أن لله سبحانه في

(١) ينظر: تفسير الطبري ١١/٣٣٦- ٣٣٧، تفسير القرطبي ٦/٤١٧ ، ٢/١٥ ، معاني القرآن الفراء ١/٣٣١.

(٢) تفسير أبي السعود ٣/١٢٨ ، وينظر الكشاف – الزمخشري ٢/٢٣.

(٣)تفسير القرطبي ٦/٤١٧.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ١١/٣٤٠ ، تفسير أبي السعود ٣/١٢٨.

ذلك حكمة لا تبلغها العقول ولا تدركها الأفهام ،فإن الله سبحانه لو جاء لرسوله ﷺ بآية تضطرهم إلى الإيمان لم يبق للتكليف الذي هو الابتلاء والامتحان معنى[1].

وأما الآية التي بعدها وهي قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٧.]

فذكر الله تعالى فيها قول الكفار المعرضين عن آيات الله (لولا نزل عليه آية من ربه) أي هلا أوتيت آية ،وهذا تعنت منهم بعد ظهور البراهين وإقامة الحجة بالقرآن الذي عجزوا أن يأتوا بسورة مثله ؛ لما فيه من وجوه الإعجاز – التي سبق ذكرها- ، وبغيره من الآيات التي تخر لها صم الجبال مثل: انشقاق القمر وغيره[2].

ومرادهم بالآية هنا آيات الاقتراح التي اقترحوها مثل قولهم: : ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ﴾ [الإسراء:٩٣].

وعبر بقوله (نزّل) عن جرأتهم في طلب الآيات، وأنهم يريدون آيات تنزل عليه ﷺ بالتدريج، فلو قالوا (لولا أنزل) أي مرة واحدة لكان أخف في الوقاحة[3] .

(١) فتح القدير- الشوكاني ١١٢/٢.

(٢) تفسير القرطبي ، ٤١٧/٦ ، تفسير أبي السعود ١٣٠/٣ ، نظم الدرر ، البقاعي ٦٢٩/٢ .

(٣) نظم الدرر ، البقاعي ،٦١٩/٣

ثم أمر نبيه ﷺ أن يجيبهم بقوله (أن الله قادر على أن ينزل آية) فليس في قدرته قصور عن ذلك ،والمراد بالآية هنا ما اقترحوا من الآيات ،(ولكن أكثرهم لا يعلمون) لا يعلمون ما عليهم في الآية إن أنزلها من البلاء، ولا يدرون ما وجه ترك إنزال ذلك عليهم ،ولو علموا السبب الذي من أجله لم أنزلها عليك لم يقولوا ذلك، ولم يسألوك إياها[1]. ومع هذا فإن كان قصدهم الآيات التي تبين لهم الحق وتوضح السبيل فقد أتاهم النبي ﷺ بكل آية قاطعة، وحجة ساطعة دالة على ما جاء به من الحق[2].

وبيّن تعالى في مواضع أخر من كتابه حكمة عدم إنزال الآيات المقترحة ومنها : أن الآية المقترحة لو أنزلت ولم يؤمنوا بها لنزل بهم العذاب العاجل؛ كما وقع بقوم صالح عليه السلام لما اقترحوا عليه إخراج ناقة عشراء من صخرة صماء،ثم لم يؤمنوا بل عقروها، فأهلكهم الله بعذاب استئصال وذلك في قوله: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴾ [الإسراء : ٥٩].

فالله تعالى لم يرد استئصالهم لما كان في علمه أن يخرج من أصلابهم أقواماً يؤمنون به .

وبيّن في مواضع أخر أنه لا داعي لما اقترحوا من الآيات ؛ لأنه أنزل عليهم آية أعظم من جميع الآيات التي اقترحوها وهي القرآن العظيم وذلك في قوله: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [العنكبوت : ٥١]. فإنكاره تعالى

(١) تفسير الطبري ١١/٣٤٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ٢/٣٩٥.

عليهم عدم الاكتفاء بهذا الكتاب عن الآيات المقترحة يدل على أنه أعظم وأفخم من كل آية[1].

قال ابن تيمية : (وهو أرسله بآيات بان بها الحق وقامت بها الحجة ،وكانوا يطلبون آيات تعنتاً فيظن من يظن أنهم يهتدون بها لكن لا يحصل بها المقصود وقد تكون موجبة لعذاب الاستئصال، فتكون ضرراً بلا نفع)[2] وكان قبل التوراة يهلك الله المكذبين للرسل بعذاب الاستئصال عذاباً عاجلاً يهلك الله به جميع المكذبين، وبعد نزول التوراة لم يهلك أمة بعذاب الاستئصال[3].

فآيات الاقتراح لا تجب الإجابة إليها إذا أتى النبي بآية دالة على صدقه، وقامت بها الحجة ؛بل (قد لا ينبغي ذلك، لأنه إذا جاء بآية ثانية طولب بثالثة وإذا جاء بثالثة طولب برابعة، فإن طلب المتعنتين لا حد له)[4].

وقال البغدادي[5]: (النبي لابد له من إظهار معجزة تدل على صدقه، فإذا أتى بها وبان لقومه وجه الإعجاز فيها لزمهم تصديقه وطاعته ،ولم يكن لهم مطالبته بمعجزة أخرى، فإن طالبوه بأخرى فإن شاء الله عز وجل أظهر الأخرى توكيداً عليهم ،وإن شاء عاقبهم على ترك الإيمان، والمعجزة الواحدة كافية في الدلالة على صدقه)[6].

---

(١) أضواء البيان ، الشنقيطي ، ١٦٩/٢.

(٢)النبوات ، ابن تيمية – ص٢٧٧.

(٣) الجواب الصحيح ، ابن تيمية ٢٨٢/٤ ، ٢٨٣.

(٤) المصدر نفسه ٢٧٥/٤.

(٥) عبد القاهر بن طاهر أبو منصور البغدادي الشافعي ، من أكبر تلامذة أبي اسحق الإسفرائيني من أهم مصنفاته الفرق بين الفرق وأصول الدين ، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة. ينظر: سير أعلام النبلاء ٥٧٢/١٧ ، البداية والنهاية ٤٨/١٢ .

(٦) أصول الدين ، البغدادي ، ١٧١.

وكما أن هناك حكمة لله في منع الإجابة إلى الآيات المقترحة ؛فإن في تتابع الآيات وتعددها – كما يشير إلى ذلك ابن تيمية – (حكمة كما أرسل الله تعالى محمداً ﷺ بآيات متعددة لعموم دعوته وشمولها ،فإن الأدلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحد كان أوكد وأظهر وأيسر لمعرفة الحق، فقد يعرف دلالة أحد الأدلة من لا يعرف الآخر ،وقد يبلغ هذا ما لم يبلغ هذا)[(١)].

كذلك هناك حكمة في كفر قوم النبي به وتتابع الآيات على النبي (كما قسا الله قلب فرعون وتتابعت الآيات على موسى عليه الصلاة والسلام ، وكما قسا الله قلوب كفار قريش عن الإيمان بمحمد ﷺ وتتابعت عليه الآيات، وسعى أولئك الكفار في معارضته والقدح في نبوته فتحداهم ،وهم أرباب الفصاحة أن يأتوا بمثل القرآن بل وحتى بسورة من مثله فعجزوا ، فكان ذلك من تمام ظهور آياته وانتشر الدين وبلغ العرب كافة وكان سبباً في إيمانهم)[(٢)].

وأما قوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الأنعام : ٥٠] .

ففيها إظهار تبرئته ﷺ عما يدور عليه مقترحات الكفار ،وبيان أنه ﷺ ليس عنده خزائن قدرة الله ولا يعلم الغيب ذلك أن (صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة أمور : العلم والقدرة والغنى ، وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده؛ فإنه الذي أحاط بكل شيء علماً ،وهو على كل شيء قدير،وهو غني عن العالمين، وقد أمر الرسول ﷺ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله :(قل لا

---

(١)الجواب الصحيح ، ابن تيمية ، ٤/ ٢٧٥.

(٢) ينظر : الجواب الصحيح ، ابن تيمية ، ٤/ ٢٧٥.

أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك)وفي الآية إشارة إلى أقسام الآيات بل والخوارق بشكل عام وأنها قسمان : (جنس في نوع العلم وجنس في نوع القدرة)[1]، فإخبار النبي بالغيب الماضي والمستقبلي هو نوع من القسم الأول ، وآيات الأنبياء التي هي من جنس التأثير في العالم هي من القسم الثاني[2].

وفي قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٥].

بيان لحال المشركين عند سماعهم القرآن وإصرارهم على أن الرسول صلى الله عليه وسلم درس وتعلم من غيره أما من عبدين نصرانيين بمكة[3] أو من اليهود[4].

و جاء في قوله تعالى :(درست) سبع قراءات اختار منها الطبري القراءة المثبتة في المصحف فقال:(وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ (وليقولوا دُرَسْت) بتأويل قرأت وتعلمت لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أخبر الله عن قولهم ذلك بقوله:﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ [النحل:١٠٣]فهذا ذلك)[5].

وأما قوله تعالى:﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام ١٠٩]

---

(١) النبوات ، ابن تيمية ص٧.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ٣١٥/١١- ٣١٦ ، النبوات ، ابن تيمية ٢١٨.

(٣) تفسير القرطبي ٥٨/٧

(٤)معاني القرآن، الفراء ٣٤٩/١

(٥) تفسير الطبري ٢٦/١٢

فيذكر الله تعالى عن المشركين انهم حلفوا بالله جهد حلفهم ، وذلك آكد ما قدروا عليه من الأيمان وأصعبها (لئن جاءتهم آية) أي من الآيات التي يقترحونها أو من جنس آيات الأنبياء قبله ، وهو الأنسب بحالهم في المكابرة ،حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدون من المعجزات الباهرة من جنس الآيات [١]،(ليؤمنن بها) وليس غرضهم الإيمان بل معظم قصدهم التحكم على رسول الله ﷺ ،والتلاعب بآيات الله [٢] ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أيده ربه بالآيات البينات والأدلة الواضحة التي تنفى أي شبهه في صحة ما جاء به ، فطلبهم الآيات من باب التعنت الذي لا يلزم إجابته ؛ بل قد يكون المنع أصلح لهم لأن الله أجرى سنته في الأمم التي تقترح الآيات على رسلها إذا جاءتهم الآيات فلم يؤمنوا أنه يعاجلهم بالعذاب [٣]- كما سبق ذكره- .

قال ابن تيمية في هذه الآية : (وقد كان رسول الله ﷺ ربما طلب تلك الآيات رغبة منه في إيمانهم ، فيجاب بأن الآيات لا تستلزم الهدى ؛بل قد تستلزم إقامة الحجة ، وتوجب عذاب الاستئصال لمن كذب بها)[٤].

فمجيء الآيات المقترحة لا يوجب الإيمان بل كما قال تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام ١١٠].

قال ابن تيمية :(أي فتكون هذه الأمور الثلاثة : أن لا يؤمنوا ،وأن تقلب أفئدتهم وأبصارهم ،وأن نذرهم في طغيانهم يعمهون ، أي وما يدريكم أن

---

(١) تفسير أبي السعود ١٧٢/٣ وينظر تفسير الطبري ٣٧/١٢

(٢) فتح القدير الشوكانى ١٥٢/٢

(٣) ينظر : تيسر الكريم الرحمن السعدي ٤٥٦/٢.

(٤) الجواب الصحيح ، ابن تيمية ، حـ٤ص٢٧٥.

الآيات إذا جاءت تحصل هذه الأمور الثلاثة ، وبهذا المعني تبين أن قراءة الفتح أحسن ،والمراد :وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون؛ بل(تقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) والمعنى وما يدريكم أن الأمر بخلاف ما تظنونه من إيمانهم عند مجيء الآيات (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) فيعاقبون على ترك الإيمان أول مرة بعد وجوبه عليهم، ، إما لكونهم عرفوا الحق وما أقروا به، أو تمكنوا من معرفته فلم يطلبوا معرفته).[1]

ثم فصل الله تعالى ما ذكره على سبيل الإجمال بقوله :(وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون)بقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام :١١١].

فبيّن أنه تعالى لو أعطاهم ما طلبوه من إنزال الملائكة حتى يروها عياناً وكلمهم الموتى بإحيائه تعالى لهم دلالة على نبوة محمد ﷺ ، وحشر عليهم كل شيء قبلا ما آمنوا ولا صدقوا إلا أن يشاء الله ذلك منهم، ولكنهم يجهلون ذلك فيحسبون أن الإيمان إليهم ،والكفر بأيديهم ،وليس ذلك كذلك.[2]

فالمقصود من الآية -كما يقول الرازي -(جواب ما ذكره بعضهم ،وهو أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم لو جاءتهم آية لآمنوا بمحمد ﷺ ، فذكر الله تعالى هذا الكلام بياناً لكذبهم، وأنه لا فائدة في إنزال الآيات بعد الآيات، وإظهار المعجزات بعد المعجزات ،بل المعجزة الواحدة لابد منها ليتميز الصادق عن الكاذب ، فأما الزيادة عليها فتحكم محض ولا حاجة إليه، وإلا فلهم أن يطلبوا بعد ظهور المعجزة

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية – ابن تيمية ،١٤١ وينظر مجموع الفتاوى ج ١٠ص١٠/ج١٣/٢٤٥ – ج١٤/٣٣٨

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٢/٤٦/٤٧

الثانية ثالثة، وبعد الثالثة رابعة ،ويلزم أن لا تستقر الحجة ،وأن لا ينتهي الأمر إلى مقطع ومفصل، وذلك يوجب سد باب النبوات)[1]

وبعد أن أخبر الله تعالى عنهم أنهم لا يؤمنون عند مجيء الآيات المقترحة ،فلا فائدة في إظهار تلك الآيات لأنه تعالى لو أظهرها لبقوا مصرين على كفرهم، بيَّن في هذه الآية أن الدليل على نبوة محمد ﷺ قد حصل وكمل، فكان ما يطلبونه للزيادة، وذلك مما لا يجب الالتفات إليه[2].

قال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام : ١١٤].

فالمعنى :أفغير الله أطلب لكم حاكماً وهو الذي كفاكم مئونة المسألة في الآيات بما أنزله إليكم من الكتاب المفصل[3].ونقدم الحديث في كون القرآن من أعظم الآيات التي أوتيها محمد ﷺ وبيان وجه إعجازه .

وأما الآية الأخيرة في هذا المبحث وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٤].

فموضع الشاهد منها قوله تعالى :(وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله).

---

(١) التفسير الكبير – الرازي ، ١٥٠، ١٣ ، وينظر : نظم الدرر البقاعي ٦٩٢/٢.

(٢) ينظر: التفسير الكبير ، الرازي ، ١٥٩/١٣ ، نظم الدرر ، البقاعي ، ٦٩٢/٢.

(٣) تفسير القرطبي ٧٠/٧.

ذكر الطبري عند تفسيره لهذه الآية : أن هؤلاء المشركين إذا جاءتهم حجة على صحة ما جاءهم به محمد ﷺ من عند الله قالوا: لن نصدق حتى يعطينا الله من المعجزات مثل الذي أعطى موسى من فلق البحر. وعيسى من إحياء الموتى[١]، وذكر غيره من المفسرين أن المراد : حتى يوحي إلينا ،وهذا هو المشهور، فالقوم أرادوا أن تحصل لهم النبوة والرسالة[٢].

أو أن المعنى إذا جاءتهم آية تأمرهم باتباع النبي ﷺ قالوا : (لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله) وهو قول مشركي العرب ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴾ [الإسراء : ٩٠].

الآيات ،وعلى هذا التقدير فالقوم ما طلبوا النبوة ؛وإنما طلبوا أن تأتيهم آيات قاهرة ومعجزات ظاهرة مثل معجزات الأنبياء المتقدمين كي تدل على صحة نبوة محمد ﷺ[٣].

وعلى كل الأقوال فإن الآية تبين اعتراض المشركين ،وعجبهم بأنفسهم، وتكبرهم على الحق الذي أنزله الله على أيدي رسله[٤].

* * *

---

(١) ينظر : تفسير الطبري ٩٥/١٢.

(٢) التفسير الكبير ، الرازي ١٧٥/١٣ ، نظم الدرر ، البقاعي ٧٠٩/٢، الفتوحات الإلهية ، الجمل ٨٦/٢.

(٣) التفسير الكبير ، الرازي ١٧٥/١٣.

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ٤٧٠/٢.

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على المبعوث رحمة للمخلوقات ، وعلى آله وأتباعه إلى يوم الدين ؛ وبعد ، فقد كان أهم ما تضمنه البحث ما يلي :

١- أن الوحي في اللغة هو : الإعلام السريع الخفي ،وهذا هو الوحي بالمعنى العام ، وفي الشرع هو الإعلام بشرع الله وهذا هو الوحي بالمعنى الخاص وله مراتب متعددة هي : الرؤيا ، ثم النفث في الروع والإلهام ، ثم مجيء الرسول الملكي ، ثم كلام الله بلا واسطة من وراء حجاب ، وهذه المراتب كلها ثابتة للنبي ﷺ ؛وقد جاء الوحي بمعنييه في سورة الأنعام .

٢- ولما كان محمد ﷺ أعظم الرسل كانت آياته أعظم آيات الأنبياء فجمعت له جميع أنواع المعجزات والآيات من العلم والقدرة والتأثير وهذه الآيات متواترة على أن أعظم آياته ﷺهو القرآن الكريم ؛واختلف العلماء في وجه إعجازه والصحيح أنه معجز بوجوه كثيرة من الإعجاز فلا تناقض في أقوالهم بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له ، وذكر للقرآن أسماء وأوصاف في هذه السورة هي : القرآن والكتاب والحق وأنه منزل من الله وأنه مبارك ومصدق الذي بين يديه وأنه مفصل وأنه تام وأنه عدل وبينة ورحمة وهدى وأنه لا مبدل له.

٣- قابل كفار قريش هذه الآيات العظيمة بالإنكار والاستهزاء والاعتراض والافتراء واقترحوا عليه ﷺ آيات أخرى وطلبوا أن يؤتيهم الله مثل آياته ، كل هذا دلت عليه الآيات في سورة الأنعام ، وهم في هذا متبعين لسنة الأمم المكذبة قبلهم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين .

فهرس المصادر والمراجع :

١- **الإرشاد إلي قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد** – إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني تحقيق أسعد عثيم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٢- **أصول الدين** ، أبو منصور عبد القاهر بن ظاهر البغدادي – دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٣- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي – بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ- ١٩٧٩م.

٤- **إظهار الحق** ،رحمت الله بن خليل الكير انوي العثماني الهندي ، دراسة وتحقيق محمد أحمد محمد مكاوي – الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء – المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٥- **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد** ،البيهقي ، تصحيح – أحمد مرسي – القاهرة ١٣٨٠ هـ.

٦- **أعلام النبوة** أبو الحسن علي بن محمد الماوردي – قدم له وشرحه وعلق عليه محمد شريف سكر – دار إحياء العلوم – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٧- **الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد** ، تأليف أبي الحسن عبد الرحيم بن عثمان الخياط المعتزلي ، تحقيق د/نيبرج ، دار قابس بيروت طبعة عام ١٩٨٦م.

٨- **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به** – لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني – تقديم محمد زاهد الكوثرى ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية – القاهرة ، طبعة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.

٩- **البداية والنهاية** لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، دقق أصوله أحمد أبو ملحم وآخرون ، دار الريان للتراث – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٠- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ، محمد بن علي الشوكاني – مطبعة السعادة القاهرة ، الطبعة الأولي ١٣٤٨هـ.

١١- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية صيدا بيروت .

١٢- **تاج العروس** ، السيد محمد مرتضى الزبيدي ، دار صادر ، بيروت.

١٣- **تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ** لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٤- **تاريخ الرسل والملوك** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – القاهرة – الطبعة الرابعة.

١٥- **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل** لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي تحقيق : خالد العك ، مروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت.

١٦- **تفسير البيضاوي** ، دار صادر – بيروت .

١٧- **تفسير الجلالين** ، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – مطبوع بهامش القرآن • المكتبة الشعبية .

١٨- **تفسير أبي السعود المسمى** : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لقاضي القضاة أبي السعود محمود بن محمد العمادي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٩- **تفسير الطبري المسمي** : جامع البيان عن تأويل أي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق ومراجعة محمود محمد شاكر – أحمد محمد شاكر- دار المعارف بمصر.

٢٠- **تفسير القرآن العظيم** لأبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، قدم له يوسف عبد الرحمن المرعشلي – بيروت – الطبعة الخامسة ١٩٩٢م- ١٤١٢هـ.

٢١- **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلي الله عليه وسلم والصحابة والتابعين** عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم تحقيق أسامة محمد الطيب – مكتبة نزار مصطفي الباز مكة المكرمة – الرياض الطبعة الثانية ١٤١٩ه- ١٩٩٩م.

٢٢- **التفسير الكبير** – الفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة.

٢٣- **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل** – القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق عماد أحمد حيدر – مؤسسة الكتب الثقافية بيروت- الطبعة الأولي ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٤- **تهافت الفلاسفة** ، علاء الدين الطوسي - تحقيق رضا سعادة – دار الفكر اللبناني – بيروت – الطبعة الأولي ١٩٩٠م.

٢٥- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان-** للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – مركز صالح بن صالح الثقافي – عنيزه- ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٦- **جامع البيان في تفسير القرآن** ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار المعرفة ، بيروت

٢٧- **الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي** لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق أحمد محمد شاكر دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

٢٨- **الجامع لأحكام القرآن** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – دار الكاتب العربي للطباعة والنشر- القاهرة الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

٢٩- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** لشيخ الإسلام ابن تيمية – مطابع المجد.

٣٠- **حاشية الشهاب** المسماة **عناية القاضي وكفاية الراضي علي تفسير البيضاوي** ، دار صادر، بيروت .

٣١- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني تحقيق محمد سيد جاد الحق ،دار الكتب الحديثة ، مصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

٣٢- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** – جلال الدين السيوطي – الناشر : محمد أمين دمج – بيروت .

٣٣- **دلائل النبوة** ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني – عالم الكتب – بيروت الطبعة الأولي ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٣٤- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة** لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق : عبد المعطي قلعجي • دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولي ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م .

٣٥- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، تأليف شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣٦- **زاد المسير في علم التفسير** – لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي – المكتب الإسلامي للطباعة والنشر – دمشق –بيروت الطبعة الأولي ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م .

٣٧- **زاد المعاد في هدي خير العباد** لأبي قيم الجوزية ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية الكويت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٣م.

٣٨- **سير أعلام النبلاء** ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق : شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة السادسة /١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٣٩- **السيرة النبوية** لأبي الفداء إسماعيل بن كثير تحقيق : مصطفى عبد الواحد دار الفكر – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٤٠- **السيرة النبوية** ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعاقري ، تحقيق محمد شحاته إبراهيم – دار المنار – القاهرة .

٤١- **شرح الأصول الخمسة** ، القاضي عبد الجبار بن أحمد – تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ، حققه وقدم له : عبد الكريم عثمان ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ذو الحجة سنة ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥ م.

٤٢- **شرح جوهرة التوحيد** لإبراهيم اللقاني المسماة تحفة المريد لإبراهيم محمد البيجوري – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولي ١٤٠٣- ١٩٨٣م.

٤٣- **شرح العقيدة الأصفهانية** لابن تيمية أبي العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ، قدم له ، حسنين محمد مخلوف ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

٤٤- **شرح المقاصد** ، لمسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني تحقيق عبد الرحمن عميرة عالم الكتب ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩- ١٩٨٩ م.

٤٥- **الشريعة** لأبى بكر محمد بن الحسين الآجري ، تحقيق محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية – مصر –١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م.

٤٦- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** – القاضي عياض بن موسى اليحصبي، قدم له : عبد الوهاب دبس وزيت ، عبد الكريم الرفاعي، تحقيق محمد أمين قرة علي وجماعة مكتبة الفارابي .

٤٧- **صحيح مسلم بشرح النووي** – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٨- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ، شمس الدين السخاوي – دار الكتاب الإسلامي القاهرة .

٤٩- **طبقات الحفاظ** : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تحقيق علي محمد عمر مكتبة وهبة – القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

٥٠- **الطبقات الكبرى** ، لابن سعد – دار صادر – بيروت .

٥١- طبقات الشافعية الكبرى ، لعبد الوهاب بن علي السبكي – تحقيق : عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي – القاهرة ١٩٦٤هـ- ١٩٧٦م.

٥٢- **طبقات المعتزلة** لأحمد بن يحيى ابن المرتضى – بيروت ١٩٦١م.

٥٣- **طبقات المفسرين** عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،ليدن ، ١٨٣٩م.

٥٤- **طبقات النحويين واللغويين** – محمد بن الحسن الزبيدي ، القاهرة ١٩٥٤م.

٥٥- **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي** ابن العربي المالكي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٦- **غاية المرام في علم الكلام** – سيف الدين الآمدي تحقيق حسن محمود عبد اللطيف لجنة إحياء التراث – القاهرة عام ١٩٣١- ١٩٧١م .

٥٧- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي – قام بإخراجه : محب الدين الخطيب ، دار المعرفة – بيروت .

٥٨- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** – محمد بن علي الشوكاني دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت طبعة عام ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٥٩- **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية** – تأليف : سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

٦٠- **الفرق بين الفرق** لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الأسفراييني التميمي ، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولي ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م .

٦١- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** – تأليف : أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي • شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، طبعة ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م .

٦٢- **لسان العرب** ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت .

٦٣- **لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة** لعبد الملك الجويني تحقيق : فوقيه حسين محمود – عالم الكتب – بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧ م .

٦٤- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية** تأليف محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ، مؤسسة الخافقين – دمشق – الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢ م.

٦٥- **مجموع الفتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** ، جمع وترتيب ، عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم وساعده ابنه محمد – دار عالم الكتب ـ الرياض ـ طبعة ١٤١٢هـ- ١٩٨١م.

٦٦- **مسند الإمام أحمد** وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال المكتب الإسلامي – دار صادر بيروت .

٦٧- **معاني القرآن** تأليف : أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء – تحقيق أحمد يوسف نجاتي – محمد علي النجار الهيئة المصرية للكتاب الطبعة الثانية ١٩٨٠م .

٦٨- **معجم مقاييس اللغة** لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا – تحقيق وضبط عبد السلام هارون دار الجيل – بيروت .

٦٩- **المغني في أبواب التوحيد والعدل** – إملاء القاضي أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد ، الجزء الخامس عشر : التنبؤات والمعجزات تحقيق : محمود الخضيري – محمود قاسم مراجعة : إبراهيم مدكور – إشراف طه حسين ، المؤسسة العصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر – الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥ م .

٧٠- **المغني في أبواب التوحيد والعدل** وإملاء القاضي أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد – الجزء السادس عشر : إعجاز القرآن – تحقيق أمين الخولي – مطبعة دار الكتب القاهرة – الطبعة الأولي شعبان ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠ م ..

٧١- **المفردات في غريب القرآن** ، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني دار المعرفة – بيروت.

٧٢- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩ م .

٧٣- **الملل والنحل** لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني تحقيق : محمد سيد كيلاني دار المعرفة – بيروت ، طبعة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤ م .

٧٤- **المواقف في علم الكلام** ، عضد الدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الآيجي عالم الكتب ، بيروت .

٧٥- **النبوات** ، أحمد بن تيمية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٧٦- **النشر في القراءات العشر** ، محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ، أشرف على تصحيحه : علي محمد الضباع ، مكتبة المثنى ، بغداد .

٧٧- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، تأليف برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، خرج آياته ووضع حواشيه : عبد الرازق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولي ١٤١٥هـ- ١٩٩٥ م .

٧٨- **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير تحقيق محمود محمد الطناحي ، دار الفكر – الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٧٩- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** – أحمد بن محمد خلكان – بيروت ١٩٧٨ م .

* * *